اصول السعادة

تأليف

السيد محسن السعبري

المقدمة

الحمد لله الذي يسعد العباد بطاعته ويشقى الظالمون بمعصيته، والحمد لله الذي جعل الروح والراحة في عبادته وجعلها متنفسا لخاصته، الحمد لله الذي جعل مع كل عسر يسرا وهدى الناس لما يحقق لهم المطالب وجعل حبه في فطرتهم هو الغالب، والحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين مستقره وكانت لهم بذلك المسرة حيث لم تسعه السموات والأرض ووسعه قلب المؤمن والصلاة والسلام على مبشر الخير والسعادة للأنام نبينا محمد صلى الله عليه وآله وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:-

يقول صاحب القلم الفقير لله تعالى لما رأيت الجميع من الناس طالبين للسعادة طلبا حثيثا إلى حد أن حدا بهم أن يوقعوا أنفسهم في الشقاء فرب طلب جر إلى حرب فأحدهم يدخل نفسه في الشقاء والعناء الذي أراد الفرار منه لأجل السعادة.

أخذت على نفسي أن أبين مفهومها وحقيقتها وذكر بعض عوامل بنائها من المادية والمعنوية كي يتضح لهم المفهوم ليكون طلبهم غير

خائب وسهمهم صائب بأقصر الكلام ليسهل قراءته للخاصة والعوام ويستجمع الأفكار وتعود الحقائق إلى الأوكار راجيا من الله أن يجعلها كلمة مباركة باقية ونعمة زاكية عند أحبة أهل البيت عليهم السلام وأرجو منهم الدعاء بعد أن ألزمت نفسي لهم بالدعاء بأن يرزقهم الله تعالى سعادة الدارين وصحبة الأئمة الطاهرين وصلى الله على محمد وآله.

السعادة عند الحكماء

لما كانت السعادة أنشودة الجميع والكل يتمناها ويتوخاها في جميع أعماله وحركاته وسكناته فلم يتركها الباحثون من الحكماء وغيرهم ولهذا نحن ذاكرون بعض ما قيل فيها من قبل من نراه مناسبا للطرح في المقام.

السعادة عند أرسطو طاليس:-

يرى هذا الحكيم أنها تكمن في خمس.

الأول:- صحة البدن ولطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج بأن يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

تعليق:-

من الطبيعي أن فقد الصحة في البدن يمثل انهيار السعادة عند عامة الناس ويقول البعض أن الصحة كرقم واحد والمال صفر على اليمين والجاه صفر آخر على اليمين والأولاد كذلك فإذا ذهب الواحد لا قيمة للأصفار ولا عدد يقرا.

ولكن سوف يتضح أن الأفضل من عافية البدن عافية الدين وأنه

هناك مفهوم آخر.

الثاني:- في الثروة والأعوان فيتسع سعة خير بأن يفعل بذلك الخيرات لينال المدح والثناء.

الثالث:- أن تحسن أحدوثته في الناس وينشر ذكره بين أهل الفضل فيكون ممدوحا بينهم....الخ.

الرابع:- أن يكون موفقا وناصحا في الأمور.

الخامس:- أن يكون جيد الرأي صحيح الفكر سليم الاعتقادات في دينه وغير دينه بريئا من الزلل جيد المشورة في الآراء فمن اجتمعت له هذه الأمور فهو السعيد الكامل على مذهبه وإن نقص شيء منها كانت سعادته بقدر ما توفر منها.

تعليق:-

إن بعض ما يذكر متحد في معناه وإن اختلفت الألفاظ في نقل المعنى إلا أنه يبقى المعنى واحد باختلاف التعابير فما يذكره هنا قد يذكره العظماء من الأنبياء والأئمة عليهم السلام ففي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على ذلك وكذلك ما جاء في مواعظ لقمان الحكيم الذي تمت سعادته في أخلاقه.

فالأخلاق هي التي تحقق سعادة الدارين فبالدنيا تحقق حسن

المعاشرة السلامة من أذى الناس وفي الآخرة العطاء الأوفر ومن هذا المنطلق يسمي الشيخ النراقي كتابه القيم بجامع السعادات.

السعادة على رأي بقراط وفيثاغورس وأفلاطون:

أجمعوا هؤلاء على أن الفضائل والسعادة كلها في النفس وحدها وجعلوا السعادة بأقسامها كلها تكمن في قوى النفس كالشجاعة - والعفة - والعدالة - وقالوا أن هذه الفضائل كافية في إيجاد السعادة ولا يحتاج معها إلى غيرها من فضائل البدن ولا ما هو خارج البدن كالثروات والأولاد....الخ.

فإن الإنسان إذا حصل تلك الفضائل لم يضره في سعادته شيء من أن يكون سقيما ناقص الأعضاء مبتلى في جميع الأمراض.

نعم إلا إذا ألحق ذلك المرض مضرة في أفعال النفس كفساد العقل ورداءة الذهن وذهاب الحافظة أو غير ذلك فأما الأشياء الخارجية -خارجة عن النفس- كالفقر والخمول وانعدام الذرية وسائر الأشياء فهي عندهم لا تقدح في السعادة.

السعادة عند صدر المتألهين (قد) (إذا أعرضت النفس عن دواعي الطبيعة وظلمات الهوى وولت بوجهها شطر الحق و تلقاء

عالم الملكوت اتصلت بالسعادة القصوى فلاح سر الملكوت وانعكس عليها قدس اللاهوت[١].

فهو يرى أن السعادة القصوى متمثلة بالإعراض عن الشواغل الحسية والتوجه الكامل إلى الحق تعالى وإلا فما دام الإنسان مع الشواغل الدنيوية فهي بطبيعتها تقتضي الآلام لتعرضها للتلف وتغير محدثاتها و يصحبها ضعف النفس مما يجعلها عرضة للآلام أكثر ومع التوجه الكامل للحق تعالى والإعراض عنها فسوف تقوى النفس ومع قوتها فهي بالإضافة إلى ذلك معرضة عن المحسوسات والكثافات والشواغل التي تتغير وفي معرض التلف فالنتيجة قد تظافرا معا -الأعراض وقوة النفس- للوصول إلى السعادة.

الرواقيون:

فالرواقيون وجماعة من الطبيعيين فإنهم جعلوا البدن جزء من الإنسان ولم يجعلوه آلة.

لذا جعلوا السعادة التي تستوطن النفس غير كاملة إذا لم تقترن بها سعادة البدن وما هو خارج البدن أيضا.

---

(١) الأسفار الأربعة.

الحق في المقام

لابد لك من معرفة أن الإنسان ذو تراكيب ثلاثة ولكل منها غذائه الخاص به وأن لهذه التراكيب الثلاثة التي تقوم الإنسان في الواقع الخارجي تبادلات وتعاطيا فيما بينها فأحدها يؤثر على الآخر سلبا وإيجابا ومتفق على ذلك بأعلى درجات الاتفاق ولم يختلف به أحد.

التركيب الأول:- وهو البدن: الذي قد يكون كاملا وقد يكون ناقصا وقد يكون مريضا وقد يكون صحيحا والنقص متفاوت فقد يكون كبيرا كقطع عضو من الأعضاء - الرجل أو اليد- أو هما معا وقد يكون أمرا يسيرا كما في الإصبع.

والمرض كذلك فمنه ما يكون فيه إعياء الإنسان حتى عن التفكير ومدهشا للعقل وربما ضيع عليه الحافظة والتركيز وأبطل المزاج وأقعد الهمم.

وغذائه الأطعمة والأشربة فإذا قصر الإنسان في ذلك ضعف عن جميع مهامه حتى العبادة التي تمثل السعادة القصوى عند الأولياء ولها معيار يجب أن لا يتعداه أحد في الزيادة والنقصان.

والتركيب الثاني:- الروح: وهي نفس الإنسان فإن مرضها أقسى ما

يكون على الإنسان وأشدها إعياء له وإن أمراض البدن إذا حلت ممكن أن تغادرها بأيام ولكن النفس ليس الأمر فيها كذلك وتختلف النفوس من شخص للآخر في مواجهة الأمراض والتحديات العصيبة.

وهي التي يقع فيها جهاز استقبال السعادة ومحل اللذائذ حتى العقلية فإن استجاب نفس العبد له ارتاح وإلا عاش الجحيم في وسط الصحراء الثلجية.

فكم من شخص يعيش في أوساط النعم ويحسده الكثير ولكن عندما تفتش عن نفسه تجده في غاية التعاسة أما للحرص - للطمع- لعدم التوكل- لعقيدة فاسدة- لعادة سيئة- فواحدة تكفي للتعاسة كما أن عقربا واحدا في الجنة يكون مؤلما ومنغصا للعيش لوحده.

فإذا استقامت النفس شعرت بالمقومات التي وفرتها لأجل السعادة وإلا فلو ملكت الدنيا برحبها لما شعرت بها كالمشلول لا يشعر بما تلامسه يده من النعومة أو الخشونة ولهذا سوف نركز على هذا الجانب أكثر من الغير لأنه جهاز الاستقبال لمقومات السعادة.

فهناك من لم يملك دينارا في هذه الدنيا ولكنه أسعد الخلق جمعاء وذلك لأن وعاء النفس مليء بالعلم والمعرفة والحكمة وجميع اللذائذ العقلية فانعكست على صفحة النفس جميع الأنوار القدسية.

وغـذاؤها الحكمـة والموعظـة والعلـم والمعرفـة والتفكـر فغـذاؤها المعنوي والمادي تلبية رغباتها التي جوزها الشرع وإلا فسوف تحرص أشد الحرص وبهذا تهلك صاحبها ولا يقدر على مواجهتها خصوصا في أول الطريق لابد لك من إعطائها حاجتها المقررة شرعا حتى تكتفي إذا غـذوتها مع الوجبات المعنوية كالقناعة وغيرها ومن قسى عليها قست عليه بل أعطها ثم داهمها شيئا فشيء وخلصها من وحل الشهوات ومن لم يعطها في الصغر جعلته صبيا في الكبر.

التركيب الثالث:- الفكر والعقل: في الدقة يختلف أحدهما عن الآخر وإن الفكر جندي من جنود العقل كما أوضحناه في كتاب (العقل أساس الدين).

فلابد من تغذية هذا المركب فإنه العمدة في المقام فإذا تغذى غذائه بجميع عناصره المقومة أعطى النفس دواعيه الخير والتنزه عن الشهوات وقبح لها عواقب الشهوات وأوهن لذائذها.

ويكون غذائه التفكر والعلم والمعرفة وتقويم جميع الأخلاق التي ذكرناها في كتاب -العقل أساس الدين- لأنها تمثل جنده وقوته وإن يعمد إلى الكتب الفكرية- الاجتماعية والدينية والاقتصادية.....الخ.

كي لا يتعطل هذا الأساس المقوم وإلا إذا انهدم عنده هذا الركن

فسوف لن تقبل هذا الإنسان حتى البهائم والعجماوات ولا حتى الجماد كما هو مبين في القرآن والسنة.

وكيف ما كان فإن هذه العناصر الثلاثة بتقويمها يحصل الطالب على سعادته فالإنسان يتفاعل مع الطبيعة تفاعلا كبيرا جدا ويتغير حاله بتغيرها ويخضع لتأثيرات الأجواء الحارة أو الباردة ويتغير مزاجه بتغيرها مع ما أنها منفكة عنه.

فكيف الحال مع عناصر تركيبه فالأمر بالأولوية فما لم تعمر هذه التراكيب والمماليك لا يمكن أن يكون هناك شيء اسمه سعادة.

ولكن نحن ذاكرون هنا ما يمكن أن يقال في جو العجالة من حقيقة وواقعية هذا الأمر المنشود -السعادة- كي تكون المحاكمة واضحة للقارئ بعدما قرأ النزاعات والاختلافات وبعد بيان هذه المقدمة.

فنقول وعلى الله الاتكال أن هذه التراكيب تمثل المدخل لأجواء السعادة التي نالها لقمان الحكيم عليه السلام ونالتها بعض الأقوام التي جاء ذكرهم على لسان الإمام الصادق عليه السلام وسوف نذكرهما معا.

فهناك نقطة انطلاق وبحسب العادة إن نقطة الانطلاق قد تكون متعارضة صوريا مع النتيجة ولكن بالدقة هي النتيجة نفسها فالنتيجة

هي المقدمات بمراحلها التامة كما أن الثمرة هي البذرة بمراحلها التنموية.

وهنا نقول ذلك كي لا يقول السائل إذا وافقناكم في تغذية العقل فلا نوافقكم في تغذية النفس وتحقيق إرادتها -الشهوانية- لأن الشهوات عوائق وموانع عن السعادة الحقيقة التي سوف يتضح معناها فيما بعد لذا نوضح المقام بهذا الشكل.

وهو أن الضرورة قائمة على مراعاة جميع ما يكون مؤثرا على الإنسان سواء أكان خارجيا أم داخليا فالإنسان الطبيعي خلقه الله تعالى تفاعليا مع نفسه وفكره ومع بدنه ومع واقعه الخارجي وتفاعله بكلا نحويه السلبي والإيجابي ففي حال كونه ذا نفسية مستقيمة أو فكر ثاقب غيرما إذا كان ذا نفسية مضطربة أو سقيم الفهم.

وحال كون بدنه تام وجميل غير حال كونه ناقص الأعضاء وقبيح ولهذا تجد أن أصحاب العاهات الغالب عليهم أصحاب أنفس مريضة متأزمة ويسري نقص البدن إلى النفس فتجده ضعيف النفس ومنهم من يصاب باللؤم ولهذا يكره التعامل معهم.

نعم أصحاب الأنفس العالية التي خرجت من وحل الكثافات ومستنقع الطبيعة أمرهم ليس كذلك وحالهم يختلف تماما وما ذكروه

الحكماء من عدم المبالاة بما يصيب البدن المقصود منهم هذه الأنفس العالية المستعلية بالمعارف الإلهية وأنفسهم ربانية تكشفت لهم الحقائق وأزاح اليقين عنهم غبار الدنيا فصاروا ينظرون إلى الآخرة وتتطلع أرواحهم شوقا إلى حياة أبدية لا أمد لها ونظروا إلى هذا البدن كأنه القشر الحاجب عن اللب وإن الإنسان بلبه وإن الله لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى القلوب.

وكيف ما كان فإن المنطلق وإن كان من ضمنه التلبس ببعض الشهوات بالقدر المقرر شرعا إلا أن هذا مع الترقي والوعي الديني ينزه ساحة النفس عن نزعات الشهوات وقطع إلحاحها بعد مسايستها فهي مدخل السعادة إذا دخلها الإنسان بلباس عقلائي شرعي ولم يتجاوز حدود ما يطلبه حالة ومن ثم بعد تلك المرحلة يلزمه التعالي عن الشهوات والتطهر من القذارات فبعدما كان غذائه عن طريق المشيمة في رحم أمه اليوم يلزمه غذاء آخر وعن طريق آخر.

وهذا نظير العروج إلى عبودية الحق تعالى عن طريق الآثار فهي مدخل لمعرفة الحق وتوحيده ولكن البقاء والمكث فيها يعد بحسب الحال أو الظرف الزمني شرك ومؤخر للعبد وإذا ركن إليها في معرفة الحق دون غيرها لم يعرف الحق تعالى حق معرفته المفترضة على العباد

ويقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: (إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها.... مصون السر عن النظر إليها مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير) وهذا أروع الأمثلة المضروبة في المقام ولنتأمل معا في كلامه عليه السلام.

فإنه عليه السلام يبين أنه دخل منها ويريد الرجوع إليه تعالى منها كما دخل منها مصون السر عن إصابة الركون إلى الآثار أو الاعتماد عليها - حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها.

فكانت له نقطة بداية وانطلاق لنيل المعرفة الإلهية إلا أن المكث فيها يمثل تأخر في مسيرة العبد الذي يبغي من حياته الوصول.

والحال هناك كذلك فإن منطلق السعادة يحتاج بحسب الطبيعة البشرية في الوهلة الأولى العوامل المعنوية والمادية معا الداخلية والخارجية وجميع ما يمكن أن يكون له تعلق بالسعادة فإذا توقف ركبه عند هذه المرحلة فسوف تنهار عنده السعادة لأنها ليست هي السعادة القصوى والمرتبة العظمى التي ينشدها أهل العقل ويعملون

لها على الدوام.

فلما كان الإنسان مكونه تركيب بهذا الشكل فلابد من أن يغذي هذه التراكيب وتقويم عواملها ولا يمكن أن نسمو إلى طلب الدرجة القصوى من مرحلة السعادة دون أن نحصل على المرتبة الأولى لأن الجانب الروحي له تأثيره كما أن البدن والجانب المادي له تأثيره أيضا والذي لا يقل في تأثيره عن الجانب المعنوي تلبية المطالب المادية والعوامل الخارجية مع المطالب المعنوية إذ يعملان معا على تحقيق السعادة.

وبعد ذلك التذوق يعمل العبد جاهدا للخروج من وحل الطبيعة والركون إليها كما هو الحال في قضية اتخاذ الآثار للمعرفة الإلهية في الوهلة الأولى.

فعليه أن يخرج منها طاهرا غير متعلق بها وتتطلع نفسه للعامل الأوحد للسعادة القصوى وهو العامل المعنوي الروحاني ويهتم به في غاية الاهتمام ويقوم مملكة العقل ويبني صرحه ويكون ذلك شغله وعمله في ما بقي من عمره وإلا إذا فاته ذلك أو تأخر عن ذلك الطلب فسوف يحرم اللذائذ العقلية الروحانية في الحياة الآخروية أو يعطى بقدر ما حصل من الدنيا والمتأخر سوف لا يرقى عن حال البهائم

ومنزلتها فإن المقومات المادية جمعاء من حظ البهائم وهي من أكبر نقط الاشتراك ونقطة المفارقة الحقة بين العبد والعجماوات هي العوامل الروحانية وبناء صرح العقل فالحق تعالى خاطب موسى بعدما اختاره لنفسه كليما واختاره للناس رسولا -(اخلع نعليك إنك في الوادي المقدس طوى).

فلما رأى أن في قلب موسى عليه السلام حبا لزوجته وهذا يمثل له تعلق بعالم الطبيعة وحاجب له عن نيل الكرامة القصوى لديه وأنه في مسيرة غير متناهية من السعادة الأبدية والتي يكون وقودها الحب الإلهي فقط دون غيره فلابد من خلع كل الحجب الطبيعية وتعبير القرآن بالنعل في غاية البلاغة (فإن المستظهر يستظهر أن المكونات الطبيعية يبتغى منها غيرها) كما هو الحال في النعل الذي يطلب لغيره ليتوقى صدمات وكدمات الأرض.

فإن الأولاد والأزواج والأموال في حياتنا الدنيا كلها يبتغى منها غير ذواتها وطلب الحق تعالى من العبد أن يكون حبه هو المستولي على القلب وذلك لأن الحب الإلهي إذا استولى على قلب العبد فإنه سوف يحب عباده تعالى ومنهم زوجته وأولاده وغيرهم حبا غير الحب الذي جعله في القلب مع الحب الإلهي.

فإذا حب العبد زوجته بحب الله كان الأفضل و الأدوم دون ما إذا حبها بغير حب الله تعالى فإنه متزلزل ولهذا إذا انطلقنا من حب الله فسوف نحب حتى العصاة كما يحبهم الله تعالى وأما إذا انطلقنا من حبنا العاطفي سوف لا نحب إلا ما هوته أنفسنا والذي يطرأ عليه التغير في كل حين ومعرضا للإزالة لأنه يخضع للعادات والتقاليد وللأمزجة وللأهواء وللمصالح الشخصية وكل هذه أما تكون خاطئة أو متصرمة أو متغير فبالنتيجة غير مأمونة.

كالذي يحب زوجته لجمالها فبعد الجمال المادي عندما تكبر سوف يكرهها قطعا أما إذا حبها حبا معنويا فإنه سوف يعشق اسمها ورسمها و لو كانت في غاية القباحة الظاهرية وكيف كان فهذا ليس غرضنا من هذه الرسالة.

فالسعادة القصوى إذا

وإن كان مبدئها ومن عواملها الأمور الدنيوية وبعض المقومات الخارجية إذا أخذت بقدرها الشرعي وعلى وفق النظام الإصلاحي للإنسان لكن في آخر مطاف السعادة والتي هي السعادة القصوى التي سوف يتبين لك معناها تمثل عائقا بل عين التعاسة إذا بقى العبد في وحلها ولهذا جرد الله تعالى أنبياء منها ولم يجعل لهم نصيبا فيها يقول في ذلك إمامك أمير المؤمنين عليه السلام (ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمدا بذلك أم أهانه؟ فإن قال أهانه فقد كذب والعظيم وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه).

فيبين إمامك أعظم الأدلة على أن الدنيا إن أعطيت للعبد أهين ومن كرامة العبد على الله حرمانه الدنيا ولو كانت في ملكها كرامة كيف يحرم نبيه منها ولو كان لها من الكرامة مقدار جناح بعوضة لما زواها عن نبيه صلى الله عليه وآله ولهذا فالتجرد في آخر المطاف

واجب لتحقيق السعادة القصوى.

فهي إذا لا تتحقق إلا بعد التجرد التام منها (قلبا) وذلك لأن التعلق بها مع تغير أحوالها وممتلكاتها وتعرضها للتلف بين الحين والآخر يلزم من كل ذلك تغير أحوال النفس وأمزجتها بتغيرها وهذا خلاف السعادة الحقيقة وهي أن السعيد من لازمته السعادة وإلا سمي ترويحا من تعب الشقاء فإذا يوم منزعج والآخر مستقر ومرتاح البال هذا معناه أن اليوم التالي عامل ترويحي لا سعادة.

فالسعادة الحقيقة من لا تفارقه السعادة ولو في أحلك الظروف كما في أولياء الله تعالى ولديك خير شاهد وأعظم سعيد وعابد إمامك الحسين عليه السلام مقولته المشهورة في آخر أنفاسه وبعد تناثر لحمه:- إلهي تركت الناس طرا في هواك و أيتمت العيال لكي أراك فلو قطعوني في الحب إربا إربا ما مال الفؤاد إلى سواك) الله يعلم عظم هذه اللذة ومقدار الأنس الذي كان فيه الحسين عليه السلام فهذا مالا يدركه أحد إلا هو طوبى له وحسن مآب.

فالسعادة مع كل هذه الظروف القاسية لم تفارقه فهي السعادة التامة وسوف نضرب لك أمثلة أخرى كما في أيوب عليه السلام ولقمان الحكيم وقوم من بني إسرائيل.

ويرى إمامك الحسين عليه السلام أن السعادة كلها تكمن في معرفة الله تعالى والحصول على تمام التوجه إليه فيقول في دعاء عرفة (ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك) فالسعادة تمام الوجدان وهي لا تتحقق إلا بمعرفة الكامل المطلق وهي معرفته تعالى وأما من لم يكن له نصيب من المعرفة الإلهية فإنه في نظره عليه السلام لم يجد شيئا أبدا.

السعادة التامة

مع ما ذكرنا فإن السعادة التامة التامة التي لا يشوبها الشقاء والعناء لا تكون إلا في تلك الحياة الآخروية الأبدية والختام برضا الحق تعالى والفوز بطاعته ولذا نقول ما من سعادة في هذه الدنيا إلا وهي مشوبة ببعض الشقاء والنقص.

فالأولياء مهما سعدوا بطاعته تعالى لكن شوقهم وتحرقهم على فراقه تعالى ومجاورته يشكل عائقا وحائلا دون تحقق السعادة التامة التامة فإن النبي صلى الله عليه وآله طالما كان متألما من فراق الله تعالى ويشتاق إلى مجاورته فلا يطفأ نار شوقه وعشقه إلا الصلاة.

ولهذا يقول الصلاة قرة عيني لأنها تحقق له أعلى درجات

القرب والمكاشفة ويقول صلى الله عليه وآله لبلال عندما يحين وقت الصلاة: يا بلال قم أذن وأرحنا فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه.

من حالات العشق الإلهي ما لا يعلم أحد تفسيره ولا يقدر عارف على تعبيره -لنا حالات مع الله تارة نحن هو وتارة هو نحن- ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته:- (فأنت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي ولقاؤك قرة عيني ووصلك منى نفسي وإليك شوقي وفي محبتك ولهي وإلى هواك صبابتي ورضاك يقيني ورؤيتك حاجتي وجوارك طلبي وقربك غاية سؤلي) (.....وعندك دواء علتي وشفاء غلتي وبرد لوعتي.....).

فهذا الشوق وهذا العشق وإن كان في غاية السعادة إلا أن الذي هو أتم وأقوم تحقيق القرب الحقيقي والذي لا يكون إلا بمجاورته تعالى والتخلص من ألم الطبيعة ومن لئام الناس فلاحظ في كلامه شكاية اللوعة والألم من فراقهم للقرب الحقيقي والسعادة القصوى في جواره تعالى في دار القرار.

ويقول عليه السلام: (وغلتي لا يبردها إلا وصلك ولوعتي لا يطفيها إلا لقاؤك وشوقي إليك لا يبله إلا النظر إلى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك) من ذلك يظهر أن قرار أنفسهم وارتياح

أرواحهم وتمام سعادتهم لا يكون إلا في مجاورته تعالى.

مستخلص:-

أن الذي نستخلصه من هذه المسيرة أن السعادة مراتب وأنها تختلف باختلاف الناس في جميع مراتبها وأن العين الباصرة لها والموضع المستثمر هو النفس وإن أتم المراتب تكون في جواره تعالى فإن العشق ولوعته والحنين وزفرته والصبر وغربته كل ذلك يحول دون تحقيق أعلى المراتب.

وتبين لنا حقيقة الاستغناء عن العوامل المادية وهي مبدأ ويجب التخلص منها في المنتهى للحصول على السعادة القصوى فاللازم أن يخرج منها العبد بعد نيلها مصون السر عن النظر إليها والاعتماد عليها وسوف نوضح ذلك بشيء من التفصيل بإذنه تعالى.

سعادة لقمان الحكيم(عليه السلام)

لقمان الحكيم عليه السلام: ورد أنه عمر أكثر من أربعة آلاف سنة وأنه نكح من النساء ما شاء الله تعالى وولد له الأولاد الكثيرة وقدم أكثرهم إفراطا له فما بكى عند موت واحد منهم أبدا ولم يفرح لشيء أوتيه في الدنيا ولا حزن على ما فاته قط وكان يكثر مجالسة الحكماء والاختلاف إلى أهلها ويتواضع لهم وأنه كان يتعلم من كل مبتلى في دين أو دنيا مما يراه حتى وصل أنه يرحم الملوك والسلاطين والقضاة والحكام ويشفق عليهم لما ابتلوا به ولأنهم اغتروا بالله تعالى واطمأنوا إلى الدنيا وزهرتها ولأن حالهم حال من يجني على نفسه وهو غير شاعر.

لقمان عليه السلام يرفض الحكومة بين الناس:-

أمر الله تعالى طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بلقائه فنادوا لقمان عليه السلام..... فقالوا له:- هل لك أن يجعلك الله خليفة تحكم بين الناس ؟

قال لقمان عليه السلام: قولا أعجب الملائكة وعظم عندهم!

وهو:- إن أمرني ربي بذلك فسمعا وطاعة لأن إن فعل ذلك بي أعانني وأغاثني وعلمني وعصمني وإن هو عز وجل خيرني قبلت العافية.

قالت له الملائكة:- ولم يا لقمان؛

قال:- لأن الحكم بين الناس أشد المنازل من الدين وأكثر فتنا وبلاء يخذل صاحبه ولا يعان ويغشاه الظلم من كل مكان وصاحبه (الحكم) من بين أمرين إن أصاب فيه الحق فبالحري أن يسلم وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة.

ومن يكن في الدنيا ذليلا وضعيا بين الناس لا يعرف كان أهون عليه في المعاد واقترب من الرشاد من أن يكون فيها حاكما سريا جليلا ومن اختار الدنيا على الآخرة يخسرهما كلتيهما نزول عنه ولا يدرك تلك.

قال: فعجبت الملائكة ذلك من حكمته واستحسن الرحمان منطقه فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل أنزل الله عليه الحكمة فغشاه بها فاستيقظ وهو أحكم أهل الأرض في زمانه يخرج على الناس ينطق بالحكمة ويثها فيهم.

ثم بعد ذلك عرضت الملائكة الخلافة على داود عليه السلام

فقبلها وابتلى بها فصار داود عليه السلام يغبط لقمان الحكيم ويقول له:- يا لقمان أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية - أي بمعنى تخلصت من فتنتها ومؤاخذاتها وعن الانشغال بها عن ذكر ربك إلى غير ذلك فتجد بعد تأملك أن من أصول السعادة هو الابتعاد عن الترأس والحكومة بين الناس.

فإن السلطان والحاكم والقاضي لا راحة لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة أما في الدنيا فإنهم في بلاء دائم وامتحان قائم حوائج الناس إليهم كثيرة إن قاموا بها كانت لهم كفارة وإن قصروا أخذوا أخذا عظيما في الدنيا والآخرة، في سجون إذا خرجوا لأقل الحاجيات تبعتهم الحمايات ورمقتهم العيون فهم على إطلاع دائم من قبل الناس لا خلوة لهم ولا استقرار و لم تحفل بهم الأبناء ولم تأنس بهم الزوجات وذكر الله عنهم بعيد وكلام الناس في حقهم شديد وذكرنا في كتاب المعاد وبناء القادة ما يفي بالغرض فراجع.

فالسعادة لا يحلم بها ولا يطلبها من طلب الرئاسات ولا يطلبها ويبتغيها إلا من سخف عقله وجنى على نفسه أسأل الله أن لا يبتلينا بها.

معدة العقل

إذا جاع الإنسان لا يصبر حتى يلبي دعوة الجوع وإلا ضعفت قواه وخارت هذا هو المعروف والشائع وقد تتوقع أن ذلك أمر ثابت في المعدة الموجودة في بطن الإنسان.

وتغفل أن العقل إذا لم تغذوه بغذائه سوف يحدث ضعفا حتى في البدن وكافة قوى النفس وأكثر من جوع معدة البطن ولذا نحن نجد أن البعض يصبر على ترك الطعام في نهار طويل شديد الحرارة إذا كان العقل مليئا بالمعرفة ومشبعا بالعلم والحكمة.

وأما من جاع عقله وفرغ فإنه لا يصبر في أيامه الاعتيادية فإذا لم تقدم له الوجبة في وقتها خارت قواه واشتد غضبه على أهل بيته وتفوه بما لا يرضي الله تعالى.

فإذا لم يغذ العقل سوف تحكمه الأوهام ومنها تنشأ الأسقام ولا يكون لصاحبها في أمر قوام.

ولهذا فإن هؤلاء الأبطال كسلمان (رضي الله عنه) ولقمان الحكيم عليه السلام وغيرهم لم يحصلوا السعادة إلا بالعقل الكامل بعدما غذوه بالمعرفة والعلوم الحقة.

نسأل الله لكم ولنا سعادة الدارين برفقة الحسين عليه آلاف التحية والسلام.

سعادة قوم ذي القرنين

إن ذي القرنين عطف نحو المشرق ليقيم بهم العدل فبينما هو يسير إذ وقع على أمة من قوم موسى صلوات الله عليه الذين يهدون بالحق وبه يعدلون فوجد أمة عادلة فقال لهم:- أخبروني أني درت الدنيا فلم أر مثلكم.

ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟

قالوا:- لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا.

قال:- فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟

قالوا:- ليس فينا متهم ولا ضنين ولا لص وليس فينا إلا أمين

قال:- فما بالكم ليس بينكم حكام؟

قالوا:- لا نختصم.

قال:- فما بالكم ليس منكم ملوك؟

قالوا:- لا نتكاثر.

قال:- فما بالكم ليس فيكم أشراف؟

قالوا:- لا نتنافس

قال:- فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟

قالوا:- من قبل إنا متواسون متراحمون.

قال:- فما بالكم لا تسبون ولا تقتلون؟

قالوا:- من قبل إنا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالحلم.

قال:- فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟

قالوا:- من قبل إنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا.

قال:- فأخبروني لم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟

قالوا:- من قبل إنا نقتسم بالسوية.

قال:- فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟

قالوا:- من قبل الذل والتواضع.

قال:- فلم جعلكم الله أطول الناس أعمارا؟

قالوا:- من قبل إنا نتعاط بالحق ونحكم بالعدل.

قال:- فما بالكم لا تقحطون؟

قالوا:- من قبل إنا لا نغفل عن الاستغفار.

قال:- فما بالكم لا تحزنون؟

قالوا:- من قبل إنا وطنا أنفسنا على البلاء وحرصنا عليه فعزينا أنفسنا.

قال:- فما بالكم لا تصيبكم الآفات؟

قالوا:- من قبل إنا لا نتوكل على غير الله تعالى ولا نستمطر بالأنواء والنجوم.

قال:- فحدثوني أهكذا وجدتم آبائكم يفعلون؟

قالوا:- وجدنا آبائنا يرحمون مسكينهم ويواسون فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويستغفرون لمن سبهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أمانتهم ويصدقون ولا يكذبون فأصلح الله بذلك أمرهم فأقام عندهم ذي القرنين حتى قبض ومكث فيهم عمر وكان قد بلغ السن وأدرك الكبر وكان عدة ما سار في البلاد إلى يوم قبضه الله تعالى خمسمائة عام[1].

تتضمن هذه القصة معان عظيمة ودروس قويمة:-

- منها: إن الدولة إذا أرادت تحقيق السعادة النوعية لابد أن لا تتجاوز منطق الحكمة وطابع الأخلاق وإلا كلفها مؤونة في المال والجهد والأنفس ما لا يقدر يقدر.

- ومنها: أن شدة القانون وأعماله نتيجة تقصير المجتمع وعدم

(١) قصص الأنبياء للراوندي ص١١٨.

ترقيه إلى الثقافة الحقيقية وما عند البعض من معنى الثقافة وهم في وهم فالذي لا يحفظ القانون ولا يطبقه إلا ما دمت عليه واقفا لا يكون مثقفا.

- ومنها: أن البلاء الذي يصيب الأمم كله جزاء أفعالهم وسوء أخلاقهم فالفقر والقتل والزلازل كلها سوء أفعال العباد سواء أكانت الأفعال الشخصية أم النوعية فإن الله تعالى ينزل على العبد البلاء ويفقره وذلك لسوء سريرته وقبح ما يضمره في نفسه.

- ومنها: أن السعادة القصوى لا يمكن تحققها بالمادة وتوفيرها في مجتمع فاقد للمعنويات فلابد من التآخي والتواصي للصالحات وفعل الخير وأن يربي أحدنا الآخر لكي يكون للإنسان المسالم موطن للعيش.

- ومنها: أن هذه الأموال التي تصرف على المستشفيات وتوفير الحكام والشرطة وغير ذلك لو صرف جزء منها على تربية المجتمع وتثقيفه فكريا لنفعت هذه الوسائل في علاجه ويلزم الدولة أن تدعم الواعظ المرشد بكل ما أتيت من قوة لا أن تضعف من دوره.

- ومنها: أنك تجد كل الويلات ناتج من غلبة الطبائع القبيحة على الإنسان فهي سبب النزاع والشجار والتقاتل والتنافس ليس ثمة

شيء غير ذلك فلولا هذه القبائح والرذائل في النفوس ما اقتتل اثنان قط.

ونحن ذكرنا غير مرة أن ضرورة تهذيب النفس من الأخلاق السيئة وتطهير ساحتها لا ربط له في دين أو تدين بل أمره عام فكل من غلب الرذائل عاش عيش السعداء وأنك لا تجد شقاء عند عبد إلا من عند نفسه وإن الله ليس بظلام للعبيد.

سعادة أيوب عليه السلام

ورد في كتب السير أن أيوب عليه السلام كان عبدا شكورا فحسده إبليس على تلك النعمة فقال إبليس لله تعالى ابتله فسلطه عليه فجاء الغلام فقال:- يا أيوب ما بقي من إبلك ولا من رقيقك أحد إلا وقد مات

فقال أيوب عليه السلام:- الحمد لله الذي أعطى والحمد لله الذي أخذ فقال الشيطان:- خيله أعجب إليه فسلط عليها، فلم يبق شيء منها إلا هلك

قال أيوب:- الحمد لله الذي أعطى والحمد لله الذي أخذ ثم كذلك فعل ببقره ومزارعه وأرضه وأهله وولده حتى مرض مرضا

شديدا....الخ.

وكان أشد البلاء عليه:

إن الناس صاروا يلومونه على أنه سيء السريرة مذنب فأخذ يظهر من عبادته وهذا أشد ما يعانيه العباد والأولياء أن يظهروا عبادتهم وتقواهم للناس.

فقالوا له:- فلا نرى تبتلى بهذا البلاء إلا لأمر كنت تستره!!

قال أيوب عليه السلام:- وعزة ربي إنه ليعلم أني ما أكلت طعاما قط إلا ومعي يتيم أو ضعيف يأكل معي وما عرض لي أمران كلاهما طاعة إلا أخذت بأشدهما على بدني وكان من الذين سألوه شاب حدث فقال هذا الشاب لمن سأله سؤة لكم عمدتم إلى نبي الله فعنفتموه حتى أظهر من عبادة ربه ما كان يسره فعند ذلك دعا ربه (رب أني مسني الشيطان بنصب وعذاب).

وهكذا نحن اليوم نلوم العلماء حيث نريد منهم كالسلاطين إذا أنفقوا أعلنوها بالفضائيات ونشروها في الجرائد والمجلات أسفي على هذه الثقافة التي لم يرض بها الله تعالى.

وكيف كان فأنت تجد هذه النفس المطمئنة التي تتنعم بالبلاء كما تتنعم في الرخاء فإن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا بل تقر أعينهم بما

حباهم الله تعالى كما كان يلتذ بذلك الإمام الحسين عليه السلام وكان في ذلك الحال عنده من الأنس لو وزع على أهل النار لآنسهم ولشغلهم عن الآلام.

فهذه سعادة حقه رفعت جميع الآلام والشقاء والعناء وأما من عنده النعمة والملك والسلطة وهو قلق وخائف على ماله من نقصانه وزواله فقد أوقع نفسه في ما أراد الفرار منه أسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويعافنا من كل بلاء وعناء فإنا أقل من أن نتحمل ذلك.

الحزن المفتعل

نعلم جيدا أن الحزن أشد ضراوة على النفس وأعظم ضدا للسعادة وهذا مما لا شك فيه والمشكلة ليس في بيان هذا الأمر والاعتراف به وإنما في إيجاده بدواعي تافهة ولا يقرها العقل فنحزن لأمور لا قيمة لها ولا حظ نتيجة عدم العناية بالنفس فالإنسان إذا لم تكتمل عنده الخصائل الحسنة والفضائل سوف يكون عرضة لهذا الحزن الذي تفتعله النفس فينغص على نفسه حياته.

وبعض ما يحدث الحزن هو في الأصل من عوامل السعادة وإيجاد الحياة الطيبة والعيش برفاهية إلا أنه بسبب الطمع أو الحرص أو الشره

أو بعض الرذائل الأخرى صارت سببا في حزنه وتعاسته فبدلا من أن يسعد شقي بها ولهذا يقول الله تعالى للعبد الذي أقبلت عليه الدنيا - (ابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) فيريد إحداث توازن في حياتك ويريد منك (ولا تحزنوا على ما فاتكم) لأنه بالنتيجة سوف يفوتك الجميع إلا ما تقربت به لله تعالى وادخرته عند الدائم الأزل ثم إن حزنك زيادة لمصابك ولا يجدي نفعا.

فالخلاصة أن التهذيب وغلبة الطبائع السيئة أمر ضروري يدعو إليه العقل فلا تشتغل بغير النفس ودع عنك عيوب الناس وإلا فحظك الإفلاس.

سعادة سليمان عليه السلام

كان سليمان كما هو معلوم من القرآن الكريم ذا ملك عظيم فسخر له الجن والأنس وكان لا يسمع بملك في ناحية الأرض إلا أتاه حتى يذله ويدخله في دينه وسخر له الريح تحمل بساطه العظيم الذي يحمل ما يريد من الجيش والعدة وفي يوم خرج عليه السلام من بيت المقدس مع ثلاثمائة ألف كرسي عن يمينه عليها الأنس وثلاثمائة ألف كرسي عن يساره عليها الجن وأمر الطير فأظلتهم بأجنحتها عن

الشمس وأمر الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن ثم رجع وبات في اصطخر -وهي مدينة في بلاد فارس- ثم أصبح فانتهى إلى جزيرة بركادان- وهي إحدى نواحي بلاد فارس ثم أمر الريح فخفضتهم حتى كادت أقدامهم أن يصيبها الماء حينها قال بعضهم لبعض هل رأيتم ملكا أعظم من هذا؟ فنادى ملك من الملائكة لثواب تسبيحه واحدة أعظم مما رأيتم[1].

تعليق:-

هذا ملك أخذ من الله تعالى وكان لسليمان منحة إلهية وعطية ربانية لا بالجور والغلبة كما هو واضح ولا تظن إن أحدا ملك كملك سليمان إذ أن الوصف دون الموصوف ومع كل ذلك كانت النتيجة هي: (لثواب تسبيحه واحدة أعظم مما رأيتم).

وهنا نبين أن لو كانت السعادة الحقة في الأموال والملك لكان سعادة سليمان بها ولكان سليمان عليه السلام أسعد الأنبياء وليس إن سعادته كانت بما ملك إلا أنك تجد خلاف ذلك ولهذا يقول عليه السلام لرجل فلاح سمعه عليه السلام يتمنى ملك سليمان أعلم أن تسبيحه واحدة خير من ملك سليمان فإن هذا يبقى -أي ثواب

(١) قصص الأنبياء للراوندي ص٢٣٠.

التسبيحة- وملك سليمان لا يبقى.

وكان عليه السلام قوته من الدنيا خبز الشعير مما يكشف أن سعادته لم تمثل بالملك الظاهري بل بالملك الباطني وإن السعادة موطنها النفس بامتلاك الأمور المعنوية التي تغذيها وتصرفها عن التبعات والأوهام وتحقق لها النظم والانتظام ومع الحياة الانسجام.

العقل أساس السعادة

نعلم جيدا أيها الأخوة أن هناك حيوانات تعيش في أجواء جميلة جدا ولشهواتها تمام الحرية إلا أن كل هذا لم يمنحها السعادة فهي رغم أنها مطلقة العنان من قبل شهواتها وتعيش في أجواء جميلة من الطبيعة لم تنعم بالسعادة وذلك لأنها لم تمنح جهاز الاستلام والتفاعلي مع الواقع الخارجي وهو العقل.

فالعقل الكامل هو الذي يمنح السعادة الكاملة وكلما نقص منه شيء نقص من مقدار السعادة بقدر ما نقص منه إذ لو كانت هذه ممنوحة العقل لنالت السعادة فيما تعيشه ولو في جوها ألغرائزي ولابد لك أن تعلم جيدا أن العقل يمثل جهاز استلام السعادة حتى في الغرائز نفسها فالذي يمارس شهواته مع العقل لم يكن حاله كالذي

يكون فاقدا له فهما ليسا على حد سواء بل العاقل يسعد في غرائزه وشهواته المقننة على وفق نظام العقل ويحول هذا البرنامج إلى أمور يسعد بها الإنسان حتى أنه يسعد بالقليل من الممارسات الغرائزية والشهوانية أكثر بكثير ممن أطلق عنان الشهوات ولم يكن ثمة عقل عنده لذا لا سعادة للبهائم لفقدانها العقل فافهم واغتنم.

ولذا فإن فاقد العقل الشرعي الذي تكلمنا عنه في هذا السفر في هذه الدنيا كالحمار في أعظم طبيعة فلا يرى ما تراه ولا ينعم بما تتوقع أنه ينعم به.

فنحن نتمنى لو كنا خدما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لننعم به وبفضائله والتبرك في جواره ولكن هناك من عاشر النبي صلى الله عليه وآله والتصق به إلا أنه آلم النبي آلاما عظيمة وكذلك النبي لوط عليه السلام إذ لو كان هناك عقل لسعدوا لكن سعد البعيد بعقله وشقى القريب بجهله.

وهكذا البعض يتمنى لو عاش مع العالم الفلاني لينال منه الخير والفضيلة ولكن يا ترى أن الذي عاش معه هل حصل السعادة التي تتوخاها أنت فالمتحصل أن السعادة لابد لها من العقل وذكرنا في بحث العقل أساس الدين ما يفي بالغرض فراجع.

سعادة بزرجمهر

في يوم سخط كسرى على بزرجمهر فحبسه في بيت مظلم وأمر أن يقيد بالحديد فبقي أياما على تلك الحالة فأرسل إليه بعد ذلك كسرى من يسأله عن حاله، فإذا هو مشروح الصدر مطمئن النفس عكس ما كانوا يتوقعونه لذا أثار العجب فيهم.

فسألوه:- أنت في هذه الحالة من الضيق ناعم البال!!

فأجابهم قائلا:- اصطنعت ستة أخلاط وعجنتها واستعملتها فهي التي أيقنتني على ما ترون!!

فقالوا له:- صف لنا هذه الأخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى.

فقال:- نعم

أما الخلط الأول:- فالثقة بالله عز وجل

وأما الثاني:- فكل ما شاء الله كائن

وأما الثالث:- فالصبر خير ما استعمله الممتحن

وأما الرابع:- فإذا لم أصبر فماذا أفعل ولا أعين نفسي بالجزع

وأما الخامس:- فقد أكون أشد مما أنا فيه

وأما السادس:- فمن ساعة إلى ساعة فرج

عندما سمعوا منه ذلك أخبروا كسرى بذلك فلما بلغه ذلك أطلق صراحه وأعزه وأكرمه.

لذا لابد لك من أن تفهم أن السعادة تستبطن في أحلك الظروف القاسية لذا يقول الله تعالى فإن مع العسر يسرى إن مع العسر يسرى - وهذه نظرية على الدوام لا تختلف ولا تتخلف كان على العبد استثمارها واستخراجها من منجمها فهي النفس إن علمتها الثقة بالله والتوكل عليه سعدت وإلا لا يحقق لك السعادة أي شيء كما ترى بأم عينيك اتسعت الأملاك وازداد الهلاك ولهذا لزم عليك أن تعرف جيدا أن السعادة بمغادرة الرذائل من الجزع والحقد والأنانية والحسد والتكبر وسيأتيك مزيد بإذن الله تعالى.

أخطر ما يهدد السعادة

يعد الوهم من أخطر ما يهدد سعادة الإنسان فإنه يعد من أقوى أسلحة إبليس اللعين التي يحطم بها كل مقومات السعادة بل يعمل بواسطتها على إحداث المشاكل في حياتيه اليومية.

إذ أنه بواسطتها يعظم الحقير الصغير الذي لا وزن له في معيار العقل فيجعله في عين ابن آدم أعظم من الجبال مع أنه خلاف الواقع ففي

الواقع لا يتعدى سوى كونه أمرا تافها ولذلك ترى الكثير من المشاكل التي تصادمت بها الناس وبعض منها نفق على تمويلها الملايين من الدنانير آلت إلى أن تكون هباء منثورا وتصرمت بتصرم الأيام ولاحت أنها من جملة الأوهام وبهذا يا أحبتي وأعزتي لابد أن نحكم عقولنا ونكثر من تأملاتنا ونتحلى بخلع الهداية والتقوى لكي لا يلتبس علينا الوهم بالحقيقة ويكون معيارا وميزانا يوزن به الحق عن الباطل إن الباطل كان زهوقا بمعيار الحق يقول الله تعالى (يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا).

فالمتقي لا تهجم عليه الأوهام بفضل التقوى فإنها من أفضل المعايير ونصيحتي لك أيها القارئ الكريم بأن لا تعتقد أنك ممن لا يحكمه الوهم ما لم تعمل بالمعايير لمعرفة الحقيقة فإن الوهم يحكم الجميع ولا يحطم قواه إلا الموت يقول الله تعالى (وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ويقول الله تعالى حكاية عن النادمين الذين حكمهم الوهم وبانت لهم الحقائق وما يعتقدون به (يا ليتني كنت ترابا) (يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) (يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا)(يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) إلى غير ذلك.

واليوم نحن نرى كلما نأتي به من الدنيا ضروريا وبأمس الحاجة إليه لكن لما يحين الموت وتلتف الساق بالساق يقول الإنسان ليتني لم أوت إلا ما سد رمقي ويتمنى أن الذي كان يحسده عليها (الدنيا) قد حازها دونه تصرمت الأوهام وانجلى الظلام وبان الحق الذي نطقت به أهل الكرم.

من أفضل ما يتوسل به للسعادة

يعد حسن السريرة وإضمار الخير للناس كافة وتطهير النفس من أوساخ الغل والحسد والأنانية من أفضل ما يتوسل به لتحقيق السعادة فإن في ذلك راحة البال وطمأنينة النفس في جميع الأحوال بل يعد ذلك مأمنا من العقوبات الإلهية التي تصب على العبد جراء سوء سريرته والتي منها الابتلاء بالحزن ففي بعض الأحاديث إن الله تعالى إذا أراد أن يكفر ذنب العبد ابتلاه بالحزن والتي نسميها في عرفنا بالكئابة فجلها من الذنوب وخبث السرائر وسوء الضمائر.

إذ لا داعي لكل هذه المواجهة والحال أنك تمنيت الشر أو لم تتمناه فالأمر ليس بيدك وإنما للواحد القهار.

وعلى العكس لو تمنيت الخير فسوف ترتاح النفس وتطمئن

وتحصل على روحانية لم تكن تحصل عليها في أعظم العبادات وفيها نوع استجابة للدعاء بل من أفضل الدعاء إضمار الخير وسوف تصبح نفسك حرما لله تعالى فطوبى لك وحسن مآب.

وأما الذين تكون قلوبهم حاقدة على الدوام فإنهم لا يعرفون طعم السعادة أبدا ولو فسح لي المجال وأسعفني الوقت لتكلمت لك عن حقيقة سعادة الملوك لرأيتها وهما في وهم ولا واقع لها سوى أنها تخيلات صورت الشقاء بصورة السعادة نسأل الله العافية بمحمد وآله.

الفكر الصحيح هو الذي يصنع السعادة

نتعرف على أهم ما يمكن أن يحقق السعادة على المستوى الفردي والجماعي وهو الفكر الصحيح فإن جل المعاناة الفردية أو الجماعية ناتجة عن تفكير خاطئ وغير سليم ولهذا فإن مشكلة العالم ومساوئه تكمن في ذلك السبب فإن الأفكار إذا ضاقت وسقمت وغلبت عليها الأوهام بل حكمتها سوف تضيق الدنيا برحبها على الإنسان وأنت لا تجد فرقا بين شخص وآخر ألا بالفكر سببه أن هذا يفكر تفكيرا صحيحا والآخر خاطئا.

وإذا عالجنا هذه المشكلة علاجا جذريا سوف ينعم الجميع حتما

بالسعادة فالذين يتطاولون على الناس ويقتلونهم ويتجاهلون حقيقة الحق نتيجة تفكير خاطئ وعدم التعايش مع الحقيقة والإذعان التام لها.

مثال:-

الناس بطبيعتها كل واحد منهم عادة لا يفكر إلا بنفسه فقط وأنه هو الوجود وغيره العدم وإذا ما دان بدين بطل عنده غيره من الأديان والمذاهب وجميع ما يحمل غيره من فكر أو علم إذ لا يرى إلا ما يحمله هو هو..

ولا يسكت ويكتفي بهذا ويقف عند هذا الحد بل يحاول بشتى الوسائل تحطيم الغير ويضمر له العداء ما لو قسم على أهل الأرض لأفناهم وهذا نوع من أنواع ضيق التفكير إذ أننا لو علمنا أن تركيبة الإنسان ذاتا مختلفة بعضها عن البعض الآخر في الشخص الواحد إذ أنك لا تجد تركيبة حتى لعضو واحد إلا مواد مختلفة ووظائف مختلفة وأدوار مختلفة وبهذا يتم أمره والعالم هكذا حاله إذ لا يتفاضل الناس إلا بالاختلاف كاختلاف كفتي الميزان ولو دققنا النظر نجد العالم عبارة عن مجموعة يركب سفينة واحدة إذا خرقها أحدهم غرق الجميع وهذه من أسمى ما يجب الإيمان به لتحقيق السعادة العامة لجميع الناس فإذا

دب مرض فكري في منطقة من العالم أحرق العالم كله كما هو الحال في الانحراف الفكري الناتج منه المؤسسات الإرهابية الذين يظنون إنهم الحق وغيرهم هو الباطل ولو كان الخلق كله وهكذا الأمراض البقية.

ثم لا يخفى عليك أن العداء الذي ينغص حياة الشعوب ويأتي لهم بالشقاء لا واقع له أمام هذه النظرية التي تكلمنا عنها فكم تقدر عداء إيران لبريطانيا وأمريكا؟ بالطبع تقول لا مقدار ولا حد له وهكذا بريطانيا وأمريكا لإيران.

ولكن انظر للواقع الذي يخالف هذا العداء فأنت تجد الآلاف من الطلبة الإيرانيين يدرسون في جامعات بريطانية فهي تطور إيران من حيث تعلم أو لا تعلم ونفط إيران إلى من يكون تصديره أليس لأمريكا مباشر أو غير مباشر بالنتيجة (جاء الحق وزهق الباطل) وهذا ليس نقدا مني بل إظهار حقيقة العالم في سعته وعرضه العريض عبارة عن أناس يركبون سفينة واحدة إن خرقت من احدهم غرق الجميع ولا استطيع أن أخوض بالتفاصيل لكن أبين ما يمكن بيانه مع هذه العجالة وهو أن الذي نحتاجه فعلا تطهير الأفكار وتصحيحها على المستوى الفردي والجماعي فإن النظرة التي تجلب الويلات لا تتغير ما لم تتغير الأفكار فإذا عالجنا الأفكار وصححناها ساد جو السعادة والطمأنينة

وهذا قانون يجري حتى على مستوى النظام العائلي أيضا وفيه مغانم كثيرة لمن يتأمله.

موافقة الضمير والفطرة

كثيرا ما نظن أن الذين يخرجون عن طور العبودية والطاعة لله تعالى في أتم الراحة والطمأنينة وكأن لم نقرأ قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) وقوله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقول الإمام زين العابدين عليه السلام (لا تطمئن القلوب إلا بذكراك ولا تستقر النفوس إلا عند رؤياك).

فنخالف حقيقة يشهد بها الوجدان والعيان والسنة والقرآن وأن هذه الحقيقة لا تختلف ولا تتخلف بل هي قانون يسري على الجميع غاية ما هناك نسبة الشعور بذلك تختلف من شخص للآخر.

ولهذا لابد لنا من أن نقول في هذا المقام يلزم على من يطلب السعادة أن يعمل في جد لموافقة منطق الفطرة والضمير إذ أن مخالفتهما تجلب الشقاء ولهذا أن الظلمة الذين يتظاهرون باللامبالاة بالسنن التشريعية والكونية فإنهم في مأزق نفسي كبير ولو كان الأمر بأيديهم لخرجوا من ذلك الشقاء والعناء وما هم فيه ولكن خرج الأمر من

أيديهم وصار بيد الهوى والشيطان يقول الله تعالى (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) فإنهم في ألم شديد جراء ما فعلوا من قبيح يخالف الفطرة ومنطق الضمير فإن للضمير صوتا لا يمكن إخماده أبدا وعلى ذلك شواهد من أشد الظالمين ظلما ولا يسعنا الذكر لتلك الشواهد.

المهم أن الذي نريد بيانه أن من عوامل السعادة أنك تعمل عملا وتسير سيرا يوافق الفطرة والضمير وإذا ما خالفتهما سوف ترى الشقاء في كل ناحية من نواحي حياتك ولا تتجه اتجاها معاكسا للفطرة أو الضمير أو للعلم الذي تحمله أو للكلام الذي تقوله فإنه سوف يولد لك مشكلة نفسية تحول دون تحقق السعادة.

فإن صاحب السيارة الذي يمشي ويسير بالاتجاه المعاكس للسير وإن بدا لك عدم المبالاة لكن تجده نفسيا يعيش أزمة نفسية في هذا الموقف بخلاف من يساير المسير ويعمل بالقانون تجده في طمأنينة وثقة عالية وهذا قانون يجري في جميع مجالات الحياة واقتصرنا المقال والعذر لله المتعال.

إذا أردت لذة الدنيا فأعمل للآخرة

الإنسان مفطور على ملاذ الآخرة وربما هذه الفطرة لما لم تكن واضحة لديه ولم يدركها حق إدراكها سببت له مشاكل في حياته لأنه للذائذ الآخروية في النفس إيعازات عند الإنسان في حياته الدنيا ولما يحس بها الإنسان يحاول تطبيقها على الحياة الدنيا وحيث أن متاعها قليل زائل فتؤل النتيجة إلى مشاكل ومفاسد أخلاقية.

مثلا طول الأمل وحب البقاء والطلب للحياة غير المتناهي وحب النفس وجميع الأمتعة كلها طلبات آخروية ولا تفي بها الحياة الدنيا فحب النفس للبقاء والخلود منطلق من فطرة واللازم تطبيقها على الحياة غير الفانية وإصرافها للآخرة ولما تطلب اللذائذ العظيمة اصرفها للذائذ الحياة الآخروية وهكذا البقية.

والذي أريد قوله فإن الإنسان ما دام لم يعمر الآخرة يبقى إحساسه بخراب الآخرة منغصا عليه حياته ويشعر بالقلق وأحيانا بالتوتر خصوصا إذا سمع بالموت أو قرب منه (وقد وردت الأحاديث في بيان سبب كراهية الموت وذلك بأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة والنفس تكره الانتقال من إعمار إلى خراب).

فالذي يبني القصور حتى من أخواننا من المسلمين يشعر بذلك ولكن يكابر تلك الحقيقة بل المسلم أشد من غيره لإيمانه الراسخ في ما وراء الموت ولهذا تتوقف سعادة المسلم الدنيوية على إعمار الآخرة.

فإن النفس إذا عملت لآخرتها وتعبدت لله تعالى وصلت صلاة صحيحة وقرأت القرآن وعملت الصالحات سوف تتوجه للأعمال الدنيوية بانشراح وهذا أمر وجداني يحسه الكل لكن لما تكون مقصرا بالجانب الآخروي تبقى في ألم وحسرة ولقد شهدنا هذه الحقيقة من الجميع الذين عاشرناهم من التجار وأصحاب السلطة وغيرهم فإن هذه حقيقة لا تقبل التخلف ولا الاختلاف والله الموفق للسداد.

مفهوم السعادة

الإنسان بحسب فطرته يكون في كل ما يعمله طالباً للسعادة فهي الغاية القصوى لديه ويسعى ورائها حثيثا وأين ما توهم وجودها قام بالطلب لذلك الأمر ولو كلفه نفسه وحياته.

وهنا نركز على نقطة أساسية في طريق طلبها وهو أن الواجب أن يعرف الطالب أن السعادة مبدأها معرفة مفهومها ومعناها الحقيقي ومعرفة المفهوم هو أول العقبات التي تواجه الطالب- لذا قالوا

أساتذتنا معرفة السؤال نصف الجواب بل كل الجواب.

وعليه فإن الإخفاقات التي تحصل في حياة الناس جراء عدم معرفة المفاهيم فمن دون معرفة المفهوم تكون كل الخطوات البعدية خاطئة.

ونحن حتى لو ذكرنا تعريفا لمفهومها إلا أنه لا يتضح حقيقة من دون معرفة ما أحيط بتحقيقها من أمور ولقد مر عليك ما يغني اللبيب وسوف يأتي مزيد فيما بعد بإذن الله تعالى راجي من الله أن يوفقنا وإياكم إلى سعادة الدارين بحق محمد وآله.

مبدأ السعادة:-

تبتدئ مرحلة الطلب من ساحة النفس لكل موارد السعادة كما ذكرنا فهي المحور الأساسي لصناعة السعادة ومحط اللذائذ والمنغصات ونحن نطلب من تجميل أجسادنا وتكثير أموالنا و..... الخ هو لراحة أنفسنا فهي المنطلق والميقات الذي يلبس منه ثوب الإحرام لتحصيل السعادة.

ونقرب ذلك بمثال:-

فأنت إذا أردت أن تلتذ برؤية جمال العالم وما فيه من ألوان

وزهور يجب أن يكون عندك نظر سليم العينين أما إذا كنت أعمى فلا لذة.

وهكذا إذا أردت التمتع بلذائذ الروائح ينبغي أن تكون عندك حاسة الشم ولذا قلنا هذه الحقيقة أن السعادة تبتدئ من النفس فهناك ركائز في النفس ببنائها تتحقق السعادة وتمثل في النفس بالنسبة للسعادة كالنظر بالنسبة لمعرفة الألوان ومعرفة جمالها ونتكلم فيها فيما بعد بإذن الله تعالى.

عوامل بناء السعادة:-

للسعادة عدة عوامل تدخل تحت مقسم يتفرع إلى فرعين:-

الأول: عوامل مادية

والثاني: عوامل معنوية وذكرنا بعضا منها وسيأتي مزيد بإذن الله تعالى.

ولنبدأ بإذن الله تعالى في العوامل المادية ودورها في صنع السعادة للإنسان فنقول ومن الله التوفيق:-

الإنسان مركب:-

من الواضح لدينا أن الإنسان مركب من عالمين عالم المادة وهو الجسد

وعالم ما فوق المادة وهو العالم الغيبي المنبعثة منه الروح وهو لا يشعر بلذة إلا إذا كانت مزيجه من العالمين فهي و إن ظهرت له على أنها لذة مادية إلا أن الحقيقة خلاف ذلك بل أن الروح والتي هي من عالم الغيب محط اللذائذ والجسد مجرد ناقل كالأسلاك ليس غير وفي عالم الآخرة سوف يختار الله تعالى له حسب ما تقتضيه الحكمة من الأجساد لنقل اللذائذ والآلام.

فهو بحسب طبيعته لا يمكن أن يستغني عن المقومات المادية للحياة فتوفير الحياة المادية باعث للاطمئنان فإن النفس إذا ضمنت رزقها اطمأنت وعليه لابد من هذه المقومات ولكن الاقتصار عليها هو الذي لا يحقق السعادة أما مزجها بالحياة المعنوية كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى يحقق مصداق السعادة وكلامنا هنا بحسب العادة البشرية.

وليس كلامنا في من خرج عما هو بحسب العادة من الأنفس القدسية التي تكون بالمادة محجوبة ومعذبة بها ومنغصة للذتها وراحتها كما في الأنبياء والأئمة عليهم السلام فهم يلتذون بالبلاء والشدة وكل ما يصيبهم من عناء فعندهم هدية الرحمان وأما الرخاء فهو البلاء عندهم حسب ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام ألم تسمع قول زينب عليها السلام لما شمت بها يزيد؟! وقال لها:- كيف رأيت

صنع الله في أخيك؟

قالت:- ما رأيت إلا جميلا. المنبعث عن كلام أبيها الذي يستأنس بالموت كما يستأنس الطفل بثدي أمه وإلى غير ذلك.

والنتيجة أن طلب الحياة ماديا ومعنويا بأصل التكوين والفطرة ومن يدعي إنكار عالم الغيب وجعل الحياة مادية فهو ممن جازف في عقله وعلمه ومن إنكار الضروريات بل هذا مجنون مثله كمن ينكر الوجود كأصحاب السفسطة ولنذكر بعض من هذه العوامل ومن الله الإعانة والاستعانة.

المسكن:-

لابد لكل مخلوق من مسكن للبدن والروح معا فربما سكن البدن في مصر أو بلد ما ولكن الروح لا يزال في بلد آخر أو غير راغب ومثل هذا صاحبه معذب لا محالة.

فعلى طالب الراحة أن يختار سكناهما معا وهذا يكون في مرحلتين:

المرحلة الأولى:- اختيار الوطن والمدينة المراد السكنى فيها

وهذه مقدمة على المرحلة الثانية الآتي ذكرها بإذن الله تعالى

فاختيار المدينة أو المحافظة في تسمية عرفنا الحاضر مهم جدا وله انعكاس على نفسية الفرد والعائلة على نحو الخاص لا يمكن تجاهله فربما جنيت على أولادك في سكناك في هذا البلد وعليه لابد من اختيار الموطن الذي يعينك على تلبية حاجاتك وعلى طاعة الله تعالى قال أمير المؤمنين عليه السلام:- اسكن الأمصار التي تعينك على طاعة الله.

وأما التي يخاف منها على دينك أو على دين أولادك فلا تلومن إلا نفسك جراء ما يعقبك في الدنيا والآخرة وإن خفت عيلة فالله رازقك وما أنفق امرئ من دينه لأجل دنياه إلا فتح الله عليه البلاء بما لا يقدر عليه في صبر حتى يورده القبر.

وعند العلماء الهجرة إلى البلدان التي لا تعين على الطاعة والعبادة من -الكبائر التي توجب الخلود في النار لأنها من - التعرب بعد الهجرة.

اسكن المدن العظيمة:-

في المدن الكبيرة تكون النفوس أهدأ وأقل ضراوة وعداوة وينخفض فيها نسبة الحسد ونعرات الجاهلية وتنخفض فيها نسبة

الاستيحاش التي تولد العداوة وغلظة النفس.

وفيما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام لبعض الأصحاب.... اسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين...[١].

احذر بعض المنازل:-

ويحذر سكنى أهل الغفلة وأصحاب الجفاء ومن يعدم عونه لأخيه عند حاجته فإنما الناس بالناس وسمي الإنسان إنسانا لأنسه بغيره.

ففي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:-

يا علي لا تسكن الرستاق فإن شيوخهم جهلة لا فقه لهم في دين أو دنيا وشبابهم عرمه-أي خبثاء طغى عليهم الشر والجرأة- ونسوانهم كشفة لا حشمة لديهن والعالم بينهم كالجيفة بين الكلاب[٢].

وهم أهل السواد وأهل القرى وحالهم يغني عن البحث والتنقيب بل جعل الله ذلك السكن عقوبة من لم يتورع في دين الله تعالى يعاقبه تعالى بالسكن عند هؤلاء ومجاورتهم.

---

(١) بحار الأنوار ج٧٣ ص١٥٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

قال النبي صلى الله عليه وآله :- من لم يتورع في دين الله ابتلاه الله بثلاث خصال: أما أن يميته شابا أو يوقعه في خدمة الشيطان أو يسكنه الرساتيق[1].

وقد ورد أنهم من الأصناف الذين يدخلون النار بالجهل و الظلم لذا:-

إياك ومساكن الظلمة:-

بعض من الناس يسكن بلدانا ليس فيها طاعة الرحمان معللا ذلك بتعليلات لا موضع لها في ميدان الحجة والبرهان وليعلموا هؤلاء أن الله مؤاخذهم على ذلك ومعاتبهم ويطالبهم بالرحيل فإن أرضه واسعة فهاجروا فيها وذلك لأنهم تأثروا بظلم الظالمين وصاروا تحت سطوتهم ومعونتهم فيلومهم على حبس أنفسهم في هذا البلد أو هذا المكان.

قال تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة

(١) بحار الأنوار ج٧٣ ص١٥٦.

فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)[١].

ويستثني الله تعالى:-

المستضعف الذي ليس له حيلة من الرجال والنساء والولدان والذين لا يهتدون سبيلا وهم من انقطع عنهم السبيل المادي والمعنوي تماما قال تعالى(إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا)[٢].

بل جعل الله الخير الكثير في المهاجرة:-

ربما جعل لك الله في سفرك الخير والبركة فمن ترك شيئا من دنياه لدينه فتح الله عليه البركات في الدنيا والآخرة.

قال تعالى (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة)[٣].

وهذا عهد الله إليكم فاستوثقوه وضمان لكم وبهذا يحتج الله تعالى على من خدم السلطان وخسر الجنان فالبعض يقول ماذا أفعل أنا

---

(١) سورة النساء /آية ٩٧.

(٢) سورة النساء /آية ٩٨.

(٣) سورة النساء /آية ١٠٠.

مقهور مجبور على فعل كذا وما يأمرني به السلطان فليعلم أن لله الحجة البالغة على عباده.

أفضل السكن:-

من أفضل ما يسكن فيه الإنسان هو المكان الذي يتصف بصفتين وميزتين وهما مزية المدينة ما تحويه من أروقة وشوارع وقصور وما شاكل ذلك ومزية أهل الريف وما تحويه من أشجار وأنهار وعيون نضاخة وأخرى جارية.

والاقتصار على أحدهما لا يريح الإنسان وبإمكانك معرفة هذه الحقيقة التي يجهلها الإنسان نفسه فإنه يجهل الكثير من أموره الواقعية فيطلب خلاف ما فطر عليه تماشيا مع العرف والعادات وبعض الأنظمة الوضعية وهذا ليس صحيحا.

فالإنسان ما دام صنعه الله تعالى فلابد أن يرد إليه ويؤخذ التعاليم منه تعالى في تنظيم حياته كما لو أشكل أمر سيارتك فإنك ترجع ذلك إلى الشركة التي صنعتها لأنها أدرى بها وقاصد الغير متخبط لا يبصر فيجعلك محل تجاربه وأنت بذلك بصير فارجع إلى ما رغب الله تعالى فيه العباد وقد جمع في ترغيبه الأشجار والأنهار مع القصور والأرض

الواسعة وغير ذلك لكونه موافقا لما فطر الإنسان عليه.

والمرحلة الثانية:-

صفة المسكن والبيت الذي يسكنه:-

إن أفضل البيوت-الواسعة منها- لقد رغب الحق تعالى عباده بالجنات الواسعة قال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)[١].

فالإنسان طالب لها بالفطرة السليمة ولذا يسعى لتوسع ما يملك ولكنه أخطأ بالمصداق فالدنيا ضيقة مع سعتها لمن تطلعت نفسه للآخرة.

وكيف ما كان الذي ينبغي سعادته عليه توسيع داره فإن أصحاب الدور الواسعة أهدأ أنفسا ونفسا وفي ما ورد في ذلك من الأحاديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال:- من السعادة سعة المنزل[٢].

---

(١) سورة آل عمران /آية ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار ج٧٣ ص١٥٣.

ضيق المنزل من الشقاء:-

عن أبي جعفر عليه السلام:- من شقاء العيش ضيق المنزل[1].

نعم إن الذين يسكنون المنازل الضيقة لأمور لا يرضى بها العقل السليم تجد حالاتهم النفسية غير منسجمة ومنقبضة على الدوام مما يعود عليهم بالويلات من المشاكل العائلية وغيرها فضلا عن ضررها الصحي فإن جل الأمراض المفاصل والأعصاب سببه نقص الأوكسجين الذي يحمله الهواء الطلق فالأبخرة والغازات التي تحدث في البيت من جراء وسائل العمل في المطبخ وغيرها لا يمكن خروجها واستبدالها بالهواء الصحي.

وهناك حجج واهية لأمثال هؤلاء الذين يسجنون أنفسهم وأولادهم في مثل هذه البيوت الضيقة مثل:

- أنا عشت طفولتي في هذا المكان ولا أقدر على فراقه وهذا محجوج بالذين يغادرون الأوطان ثم لا ينون الرجوع إلى أوطانهم فالراحة هي الوطن وأين يبعد هذا المكان عما سوف تنتقل إليه؟

- أو أنا لا أقدر على مفارقة أصدقائي..؟

---

(١) بحار الأنوار ج٧٣ ص١٥٣.

وهل صديقك خليل الرحمان أما والله لأنك تبيعه بألف دينار أو أقل.
- أو أنا قريب من المدينة والسوق -والولاية- وهذا من أوهن الحجج فاليوم العالم بين يديك بواسطة هذه الوسائط السريعة.
- أو أنا لا أستطيع شراء مساحة كبيرة خارج المدينة.

وهذا له عدة حلول بأن تشترك جماعة من الشباب ويشترون مساحة كبيرة ويقتسمونها وتكون كالمجمعات السكنية ومن دون كلفة باهظة الثمن والكلام مع من ضعفت همته وفسخ عزمه لا ينفع إنما يتذكر أولوا الألباب.

أنها من الحماقة:-

ذكر أن أبا الحسن عليه السلام:- اشترى دارا وأمر مولى له يتحول إليها وقال له:- إن منزلك ضيق
فقال له المولى:- قد أجزأت هذه الدار لأبي!!
فقال أبو الحسن عليه السلام:- إن كان أبوك أحمق فينبغي أن تكون مثله.
أي بمعنى لا تسع لك فكيف تقتسمها!؟ فهذا من الحماقة.

السعادة في أربع:-

ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:- أربع من السعادة المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب البهي[1].

نقول فأما المرأة: فهي القاعدة الأساسية التي يبتني عليها سعادة الرجل وتمثل كيانه وفيما لو خفق في الاختيار فلا يحلم بها فإن المرأة الصالحة نعم العون على الدين والدنيا والطالحة منهن تفقدك الدين والدنيا فلا ترتقي الرجال إلا بنسائهم وهذا غير خفي على البصير والكلام في ذلك سنفرد له بحثا مفصلا في كتاب ومن الله التوفيق.

وأما المسكن الواسع: فقد عرفت بما لا مزيد عليه

والجار الصالح: فإن الجار يعد من أفراد الأسرة خصوصا في المدن فهو يتطلع عليها شاءت أم أبت لذا فخربة عند صالح خير من قصر مجاور لطالح وجاء في وصية أمير المؤمنين للحسن عليهما السلام:- سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار[2].

والمركب البهي: فهو عنوان عز وكرامة ومن عوامل الهيبة ولابد أن يزيد أهل الدين قربة لله تعالى لا تفاخر أو تكبر.

---

(١) بحار الأنوار ج٧٣ ص١٥٤.

(٢) بحار الأنوار ج٧٣ ص١٥٤.

وعنه صلى الله عليه وآله:- أربع من الشقاوة:
الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء.

الولد الصالح:-

أفضل ما يحظى به العبد في هذه الدنيا الولد الصالح البار بأمه وأبيه ولا يوجد أقر لعيون الآباء من ذلك ولذا عده صلى الله عليه وآله وسلم في موضع أنه من سعادة المرء المسلم أن يكون له ولد صالح.

قال زكريا عليه السلام لما رأى مريم ابنت عمران وخلقها الحسن واستحسن عبادتها (هنالك دعا زكريا ربه قال ربِ هب لي من لدنك ذرية طيبة...).

العامل الثاني للحصول على السعادة

وهذا ما عقدنا الكلام لأجله وبحصوله تتم النعمة وتتحقق السعادة القصوى ويأخذ العامل الأول أثره وإلا فمن دون ذلك لا شيء اسمه سعادة وليس منها في حياة الفرد أثر ولا خبر.

وهذا هو العامل المعنوي والجنبة الروحية والتي تتحقق بأمور نذكر أبرزها ومن الله التوفيق.

الأول: التخلص من الحسد:-

يقع هذا العامل في صادرة الخصال السيئة لأنه من أشر العوامل التي تعمل على إقصاء الإنسان عن مواضع السعادة بل يعد الحسد من أفضل أعوان أعدائك عليك فإذا كنت حسودا فقد أعنت عدوك المحسود عليك وأرحته من مواجهتك لأنك أوقدت في جوفك نارا لا تنطفئ حتى تهلك دنياك وأخراك.

وليس القضية دينية صرفة كما قد يتوقع البعض الأمر ليس كذلك بل وإن لم تكن عندك علاقة وثيقة في الدين فإن الحسد أضر ما يكون على الإنسان.

فالكثير يهلك بالأمراض والأحداث والحروب سببه الحسد فعد القاعدة الأساسية لمنطلق البلاء.

وباعتبار صدوره وتحققه ينقسم إلى قسمين:-

الحسد الفردي-الشخصي- الذي يقع من فرد على فرد آخر زيد يحسد عمرا على ما آتاه الله من هذه الدنيا والتي يعلم الجميع أنها فانية.

والثاني: الحسد النوعي حسد الشعوب بعضها للبعض الآخر فهذا

الشعب يحسد ذلك الشعب؛ لأنه هو في جور والآخر في رفاهية حتى عاد العالم ملتهبا بأجمعه فتعادلت القضية دمار هنا ودمار هناك والكل مذموم عند أهل العقل والمنطق السليم.

ويرتكز حصوله على حب الدنيا فإن محبها حسود لا محالة ولو جاء بألف قسامة وما لم يتخلص من هذه الظلمة الحالكة لا ينجو من هذه الصفة الهالكة.

آفاته:-

ومن آفاته يفقد راحة القلب، عن الصادق عليه السلام:- لا يطمعن الحسود في راحة القلب[1].

وإذا لم يرتح قلبه فأنى له السعادة؟ ولذا قد يتوفر المال والأولاد والجاه ولكن لا يعرف معنى للسعادة قط جراء هذه الآفة.

تأمل في قول أمير المؤمنين عليه السلام:-

يقول الإمام عليه السلام موضحا لتلك الحقيقة وهو أن الظالم إذا كان حسودا فهو أشبه ما يكون بالمظلوم حيث قال:- ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم وقلب هائم، وحزن لازم.

---

(١) البحار ج٧٣ ص٢٥٢.

وقال عليه السلام أيضا:- الحسد لا يجلب إلا المضرة وغيظا يوهن قلبك ويمرض جسمك.....الخ.

فأصحاب الحسد ذو حزن دائم وقلب دوما في تحير ومغتاض ومعلوم أن الغيض يسلب البهجة والسرور.

طالب الصحة:-

قد يطلب الكثير من الناس صحة الأجساد مع وجود هذا المرض الخطير والذي يفني الديار ويقصر الأعمار وينشر الدمار وصاحبه في ظلال.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:- صحة الجسد من قلة الحسد فهنا عليه السلام يضع لك العبائر الواضحة والنقاط على الحروف لكي لا تذهب يمينا ولا شمالا أيها الطالب للسعادة الحقيقة.

الحسود أقل لذة:-

يعظنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم نحن الذين نريد العيش بسلام وسعادة وندرك لذة ما أكرمنا الله تعالى من النعم بأن نبتعد عن الحسد قال صلى الله عليه وآله وسلم:- أقل الناس لذة الحسود.

فالحسود دوما في صراع نفسي وهيجان غضبي فجوفه كالبركان فكلما أصاب الناس خيرا حزن وما أكثر ذلك الخير الذي يأتيه الله تعالى لعباده وإذا كان هذا شأنه فالحزن دائم لا انقطاع له.

بل الذي شهدناه أن الله تعالى يعاقب الحساد بكثرة النعم على المحسود كي يعذب المحسود نفسه بنفسه لكي يعاقبه تعالى على هذه الخصلة الذميمة وهكذا.

ولك كلمات تنير لك الظلمات وتسعف الأنفس المترديات قال أمير المؤمنين عليه السلام:- الحسد ينكد العيش ولا يبرئ الحسود والحسد يفني الجسد ويذيبه ولا شفاء لحسود والحسود كثير الحسرات ودائم السقم وصاحبه أسوء الناس عيشا ولا يكون مسرورا ولا أنكد من عيشه[1].

فإن أردت العيش الرغيد:-

فشمر عن ساعديك للتخلص من وثاق الذل والهوان وأطلق نفسك بنفسك ولا تكفي عدوك بهلاك يومك وأمسك.

فإذا دب بك فلا يرضى منك إلا بالهلاك في الدين والدنيا ولا

(١) بالمضمون.

يوجد ما يستحق أن تحسد الناس عليه فالملك لا محالة مسلوب والسلطان مغلوب والقصر معيوب[1].

ودع كل ذلك وتنافس على جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فقد ترك أهل الجهل ساحة العبادة الإلهية والعزة الربانية فتحلى بها وقد جعلت الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط العجزة.

ولقد ترك الفساق والجبابرة الجنات والحور والقصور فاقرأ قوله تعالى (أولئك هم الوارثون) ولكل عبد جنة فإذا آمن بالله واتقاه نالها وإلا ورثها الله تعالى لمن يحب من عباده فقد تركوا لك الملك الذي لا يصفه الواصفون والذي تتصاغر الألفاظ والتعابير عن حكايته ووصفه.

العزلة:-

لما فسد الإخاء وكثر العداء وقل الأوداء وأصبحت المخالطة شر داء كان من الأجدر الاعتزال عن مثل هؤلاء فإن العاقل من الجهلاء مستوحش فلا يؤنسهم ولا يؤنسونه وإلا فقد عقله.

ولعل الكثير يستشكل من قضية الاعتزال عن الناس ولكن في

---

(١) بإفنائه.

الجملة معقول فإن في الاعتزال تجتمع الأفكار وتشرق الأنوار ويحصل للنظر الاعتبار و به يستطيع الإنسان الرجوع للنفس ومعالجة معايبها ولكن المطلوب فيه إحداث التوازن فلا يكون كله للناس فيبتلى بالإفلاس ولا يكون في معزل تام فيسبت عقله وقلنا غير مرة في بعض المحافل وما كتبه هذا القلم الفقير أن الرجل في الميدان ولا يعلو قدم الخلق إلا بالمخالطة.

ويحتاج إليه كل فرد في أول العمر ليكتمل نضجه العقلي والفكري والنفسي وبعدها ينطلق إذا ضمن من نفسه عدم الوقوع في المهالك.

وما من نبي أو رسول إلا وابتدأ بالعزلة كما كان يفعل نبينا صلى الله عليه وآله في غار حراء وموسى عليه السلام في مناجاته وأهل الكهف وإبراهيم عليه السلام.

وقد ورد في مدح العزلة الكثير وإليك منها:- عن الرضا عليه السلام:- يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء: تسعة منها في اعتزال الناس وواحدة في الصمت.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:- وطلبت الراحة فما وجدت إلا بترك مخالطة الناس لقوام عيش الدنيا اتركوا الدنيا ومخالطة الدنيا ومخالطة الناس تستريحوا في الدارين وتأمنوا من العذاب.

فخالطوا الناس بأبدان آنس أرواحها الذكر الخفي ونورها العمل المرضي وعلى ذلك امضوا ولا تهنوا.

اليقين:-

لليقين تعبيرات عديدة ملخصها هو الاعتقاد الجازم والنافي للاحتمال فضلا عن الشك والمنبعث عن الانكشاف الحقيقي لواقع الأمور عامة.

ومرادنا هنا الأعم من الأمور العقائدية وغيرها حتى القناعات في السنن الكونية والأنظمة الوضعية.

وقد ورد في مدحه ما لا يزهد به إلا الجاهل المعاند ويكفي ما يتبادر لك من معناه المنبعث منه عطر الثبات ومجانبة التزلزل والتأرجح العامل الذي ينغص على الإنسان حياته فأكثر ما يشق على الإنسان حالة التأرجح لا هو مع هؤلاء ولا مع غيرهم فحالة الشك والتذبذب تشطر النفس إلى عدة انشطارات واعتبر بعروض أمر ما عليك وترددك في فعله وعدمه كم يتعب النفس فكيف إذا أخذ ذلك طابعا تماما والذي يطلب المزيد فليطلبه من مظانه.

فلنذكر بعض ما يعطر المقام كي لا نخرج من الالتزام: عن أبي

عبد الله عليه السلام:- إن الله بعدله جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط[١].

وفي وصية أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام:- اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين[٢].

أي من المعلوم كم يعاني الإنسان من توارد الهموم والأحزان في هذه الحياة الدنيا وما أكثرها في هذا الزمان فحلها الوحيد هو اليقين وعزيمة الصبر وإلا ضاع الإنسان - لا دين ولا دنيا- وذلك الخسران المبين.

من اليقين:-

ومن اليقين ألتبري من الحول والقوة إلا به تعالى وأن تستقيم على أمر الله تعالى وتعبده ظاهرا وباطنا وأن يستوي عندك الوجود والعدم والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل الرئيس والمرؤوس وأن ترى الكل بعين واحدة.

وأما من تعلق بالأسباب واتبع العادات وأقاويل الناس بغير الحق

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٧.

(٢) نهج البلاغة.

فإن مدح فرح وإن ذم حزن وسعى في أمر الدنيا وجمعها ويقر باللسان أن لا مانع ولا معطي ولا مذل ولا معز إلا الله وينكر ذلك في القلب فقد أصبح مصداقا لقوله تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون)[1].

ومصداقا لقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)[2] ومصداقا لقوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) ثم اعلم أنه -اليقين- أعز شيء قسم بين العباد ولا يحصل عليه إلا ذو حظ عظيم ومن الله التوفيق.

فالإنسان الذي يراعي رضا الناس يكون دائم القلق مضطرب الأحوال متشنج الأعصاب كثير المؤونة في نفسه وكلامه ونفقته وبناء بيته كثير الخوف موهون القلب ضعيف العقل معدوم الراحة مسلوب السعادة.

المال الذي بيده يكفي مؤونة بلد ويشعر بأعلى درجات الفقر والحاجة يفر من الفقر إلى أفقر منه رزقنا الله وإياكم حسن اليقين بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) سورة آل عمران /آية ١٦٧.

(٢) سورة يوسف /آية ١٠٦.

بالعلم يسعد الإنسان:-

من العوامل التي تهدف إلى بناء سعادة الإنسان هو العلم والعلم كما هو واضح كثير أفضله ما عرف النفس حقيقتها وقوم العقل وأقام صرح الإيمان وإلا فلا نفع بما يرفع الإنسان في الدنيا ويضعه في الآخرة وبما يظهر الإنسان بالملا ويوحش النفس فخيره ما نور القلب وآنس النفس في الوحشة ويحقق السعادة الفضيلة قال أمير المؤمنين عليه السلام:- السعادة التامة بالعلم.

القناعة

القناعة أن ترضى بما قسم لك وان تستشعر ما أنت فيه من نعمة وان يكون الرضا حاجبا لك عن شدة الطلب النفسي والفعلي بحيث لولا المرجحات العقلية والشرعية كمحبوبية التجارة وغيرها لاقتصرت على ما عندك.

ولا يعلم من العوامل أشد تأثيرا من القناعة في سعادة المرء ولهذا أنبأ الحق تعالى عن حال القانع (فلنحيينه حياة طيبة) أي أن القانع يتمتع بأطيب حياة وقال تعالى (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) أي -

القناعة- لأن القناعة رضا النفس وبالقنوع راحة الأبدان والأفكار والأنفس.

قال الصادق عليه السلام:- وخمس من لم تكن له فيه لم يتهن بالعيش الصحة، والأمن، والغنى، والقناعة، والأنيس الموافق.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:- أطيب العيش القناعة وأهنأ الأقسام و أعون شيء على صلاح النفس وبما يكون العز والغنى ومن قنع شبع واستراح بل من يقنع لا يغتم أبدا وأبعد ما يكون عن الذل فإن الذل لا يأتي به إلا الحرص والطمع و بها تقل مشاكل صاحبها وتذهب بتعبه ونصبه وبذلك ضمن سلامة بدنه وعقله.

أحبتي لا تظن أن الذي لا يشبعه القليل يشبعه الكثير فإن العالم كله عند أهل الحرص لقمة لا تسد الرمق والذرة عند أهل القناعة تجلب التخمة وغير القانع كشارب ماء البحر كلما شرب ازدادا عطشا والذي نفسي بيده أن أصحاب الأموال لأشد عناء وأشد فقرا فإذا فتشت أنفسهم لوجدت أن أجوافهم لتشتهي العالم بأجمعه وهو طالب له فكيف ومن كان هذا حاله أنى له تحصيل السعادة ولذلك كلما ملكوا بلدا أرادوا آخر وأنهم لأولى بالرحمة من المساكين والفقراء فإن الطلب النفسي لهذا التراب لا يناظره شيء ولذا تراهم

يبكون بكاء النساء عندما يفقدون ملكهم.

فلنحذر أشد الحذر من أن تغلبنا أنفسنا على أمرنا عندها لا ينفع الندم ونصبح عبدا نقاد حيث ما يريد الشيطان الذي لم يرحم حتى بنفسه فكيف بي وبك.

فلابد من ترويض النفس على القناعة بقلع الحرص والطمع وأن يكون الطلب ضمن المقاييس والمعايير العقلية والشرعية فالبعض يطلب الدنيا وليس له معيار.

فإن كان معياره طلب المعيشة فهو يطلب ويسرق ميزانية بلد كامل وإن كان يطلب لأجل الترحم على الفقراء فليرحم نفسه أولا ثم الناس.

فمن طلب السعادة فلا يرجوها مع فقدان القناعة وطالبها من دونها كطالب من الماء جذوة نار.

موعظة في قصة:-

في يوم دعا سلمان الفارسي رحمه الله أبا ذر الغفاري (رضي الله عنه) إلى ضيافته فلما جاء وقت الطعام قدم سلمان (رضي الله عنه) لأبي ذر كسرة خبز يابسة وبلها له من ركوته-أي بالماء كي تلين-

قال أبو ذر لما قدم له الطعام:- ما أطيب هذا الخبز لو كان معه ملح.
فلما سمع سلمان منه ذلك عمل بموجب الضيافة كحسب عادة العرب عندما يطلب ضيفه شيئا يأتي به مهما كلفه
فخرج من داره مصطحبا معه ركوته فأخذها ورهنها عند صاحب الملح وأخذ منه ملحا لأبي ذر فقدمه إليه
حينها قال أبو ذر عليه الرحمة لما ذر الملح على الخبز:-(الحمد لله الذي رزقنا هذه القناعة)
قال له سلمان عليه الرحمة:- لو كانت قناعة لم تكن ركوتي مرهونة؟! أي أنى لك القناعة وأنت أحرجتني في طلبك للملح حتى رهنت لك ركوتي فلو كانت لاكتفيت بما قدمت لك!

أحبتي نحن اليوم إذا وضعت المائدة يضع فيها عشرين نوع من الطعام بل أكثر ومع ذلك لا نجد لذة ذلك الطعام وكأننا نأكل ما لا طعم له وذلك لفقدان القناعة فقضينا على سعادتنا ولذتنا بأنفسنا.

فبعض الناس يستمرئ الخبز لوحده أو الطماطة لوحدها أو رأس البصل وكأنه أكل جزورا وأما نحن فلا وسوف نعقد لهذا الكلام ما يناسبه.

لا تجالس أهل التشاؤم:-

البعض يجالس أهل الشكاية الذين يعتادون التظاهر بالفاقة والحاجة والحال أن حالهم خلاف ما يصفون ولكن تعودوا الشكاية والضجر والمذمة للأوضاع فإن مثل هؤلاء مجالستهم مرض خطير على السعادة والدين فيدخل أهل اليقين في الشك حتى يرتابوا ويرتدوا عن أمرهم الحق أصحاب الشيطان الذي يعدكم الفقر والضياع.

فالأجدر عدم مجالستهم واختيار مجالسة أهل الشكر والذكر للنعم وما أقلهم في هذا الزمان.

نجد اليوم من راتبه بالملايين يشكو وينادي بالمظلومية وإذا خصم من راتبه ألف نادى بالويل والثبور وإذا جلست عنده قلب لك الأمور وجعلها تعزية و مآتم.

فأقول لمثل هؤلاء:-

ابشروا بالفقر العاجل وعواقب الكذب والإنكار فإنكم تشكون الله تعالى مع ما آتاكم من نعمه وتنكرونه فسوف يورثكم الفقر كما هو الوارد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أن الشكاية تجلب الفقر.

وقد خالفتم كتاب الله الذي يأمركم بالتحدث في ما أنعم الله

عليكم (وأما بنعمة ربك فحدث) والمهم في الأمر إرشادا إلى أحبتنا عدم مجالسة مثل هؤلاء والأفضل تذكيرهم بما أعطاهم الله من النعم وفضلهم على الكثير من عباده.

الاهتمام بالنفس:-

أشر ما يبتلى به العبد نسيان نفسه والاشتغال بغيره عيوبا وخدمة وهذا خلاف نظرية الإسلام فإن الإسلام قدم خدمة الإنسان لنفسه بل ليلحظ نفسه في كل خدمة يقدمها للمجتمع وغير ذلك لا حيث المفهوم الخاطئ وهو (الدعوة للأنانية).

على العكس من ذلك فإن الإسلام يريد منك تسليط الضوء على نفسك وقال عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة).

وغير ذلك غايته أن العبد إذا اهتم بنفسه نفع مجتمعه على أفضل ما يكون وإن الويلات كلها جاءت من الاهتمام بالغير ونسيان العبد لنفسه وأنت الآن لو فتشت الساحة تجد الشر من الذين يفتشون عن عيوب الناس والذين يهتمون بأمور الناس على الدوام ونسوا أنفسهم

ولم يرقبوها.

ولا تجده - الشر- من الذين يراقبونها بكل فعل وقول وحركة وسكون ماذا قالوا وماذا فعلوا وهل عملوا لها وماذا سوف يقولون لرب العالمين لو سألهم عن كذا وكذا.

فهؤلاء لم يصدر منهم أذى في حق أحد بل هم أهل الصلاح والخير فإن المهتم بنفسه والذي يكسوها بالحب ويملأها بالرأفة والمودة لا أذية له على أحد ومن المعلوم أن الحب والرحمة والمودة لابد لها من متعلق تتعلق به وهو المجتمع والناس وإلا حب ورحمة من؟ وكذلك لو روض نفسه وأصبح كريما فإن متعلق الكرم والجود هم الناس وضعفائهم ومساكينهم وإذا صار حليما وصبورا كف أذاه عنهم وهكذا كل الصفات الخلقية التي تبتدر منه تتعلق بالغير خدمة ورعاية لهم.

فتحصل أن الإنسان إذا اعتنى بنفسه أثمرت الإحسان والخدمة للناس وأما إذا أهملها وتفانى بإعراض الناس والنقد وخدمتهم أنتجت هذه الحالة إبادة الناس وبهذا لا يبقى شك أن المنطلق الأول لخدمة الناس هو انك أن تهتم بنفسك ولا ترى إلا نفسك فتكون نصب عينيك لا يحجبها عنك حب الأنا والجهل بأنك كامل وغيرك لا شيء

أو ناقص.

وعليه الأجدر بنا الاهتمام البليغ بهذه النفس التي تحوي الكثير من العيوب ثم اعلم أن كل ما يبتدر منك من خير هو لنفسك قال تعالى (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) وفي آية أخرى عليها فتفهم تلك الحقيقة وتأملها جيدا فأنها نافعة وتبتني عليها أصول السعادة والله الموفق للسداد والعاصم من الشقاء.

من خطط إبليس:-

إن من خطط إبليس اللعين أن يشعرك بأهمية خدمة المجتمع مع نسيان نفسك فتبتلى بمساوئ الأخلاق حتى يضر مجتمعك بك وتهجم عليك مساوئ الخلاق وأنت لا تشعر.

فعلى العامل والواعظ وغيرهم ممن يروم في نفسه خدمة الناس أن يولي أهميته الكبرى في معالجة نفسه ومن ثم يبتدئ بخدمتهم.

الانشطار النفسي

من ثمار التوحيد أن يكون صاحبه مطمئنا مرتاح البال غير مضطرب الحال فإن الموحد كمن يعمل عند شخص واحد فيأمره

وينهاه على نسق واحد ولا تضاد في أحكامه وأما المتبع للأوهام والأوثان والشياطين والشهوات فهو كمن يعمل عند المئات والكل يريد منه تنفيذ أمره واستجابة نهيه وقطعا في مثل هذه الصورة يحصل التضاد في الأوامر والنواهي وبذلك يضطرب حال الإنسان اضطرابا لا يمكن تعقله بالمرة.

قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا والذين كفروا أوليائهم الطاغوت) وهذا من بيانه تعالى لحال من خرج عن مسيرة عبوديته وطاعته فإنه ولي واحد لمن آمن به وأما من خرج عن ربقة العبودية فأولياؤه كثيرون فعبر- بالأولياء- لا بالوالي الواحد.

وإليك المزيد قال تعالى (يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)[1].

وقال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)[2].

وقال تعالى (وهذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

(١) سورة يوسف /آية ٣٩.

(٢) سورة الزمر /آية ٢٩.

فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)[٣].

فالملاحظ في كل هذه الآيات المباركة أن صاحب التوحيد هو الذي سلم أمره ونفسه من الانشطار والقلق وأما من خرج عن هذا السبيل الواحد الموحد لإراداته فسوف يلقى غيا وتعبا ونصبا وتتلاقفه الأهواء والشياطين قال تعالى (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران.....)[١].

ومن كان هذا حاله أنى له تحصيل السعادة وأنت خبير بذلك كيف لو تكشفت الأحوال وهاجت الأدغال في نفوس الملحدين فمنهم من ينتحر والآخر ينتظر وليس له من الله واق.

فانتفض لنيل السعادة الحقيقية التي تسربل بها أهل الطاعة والإيمان بالله تعالى ولا تبقى تصارع الناس بالعداء وبكثرة الأموال والأولاد فإن هذا كله سراب يحسبه الظمئان ماء!!

---

(٣) سورة الأنعام /آية ١٥٣.

(١) سورة الأنعام /آية ٧١.

التوكل على الله تعالى

هو أن يكل الإنسان نفسه وتدبير أموره إلى الله تعالى مفوضا إياها وأن يكون أمله بالله تعالى ويقطع جميع آماله عن الناس فإنهم لا حول لهم ولا قوة والتوكل من أفعال القلب لا من أفعال الجوارح وبهذا لا ينافي العمل وإقامة الشؤون فللإنسان أن يعمل أعمال المؤمل لغير الله تعالى ولكنه متوكل عليه.

وفهمه يسير على من عمل به ويتم تحصيله بالتدبر والتفكر في مجاري الأمور وضعف الإنسان ومراقبة الأحداث وعواقب الناس فإنه سوف يجد لا ناصر إلا الله تعالى والكل سوف يخذل فليس هناك من تعول عليه.

- فأما الابن - فهو الذي يتقاعس عن خدمتك ويفكر بالملك في حياتك وينتظر موتك حتى يملك ويستأثر بالثروة وهو مع كل ذلك لا حول ولا قوة.

- وأما الزوجة فمن تربطك به الشهوة المؤقتة فما هو الحال.

- وأما الأقارب بين شامت وحسود وحقود ومن يرى أن الذي أصابك حوبته.

- وأما الأصدقاء فطالبهم في أشد العناء وأبعدنا سفر من يبحث عن صديق.

- وأما المال فما تتلفه اللحظة لا أمانة به.

- وأما الجاه فيذهب بذهاب مقوماته.

- وأما السلطان فلو دام لما وصل إليك وإن خذلانه اشد الخذلان وإذا سقط صاحبه تناولته المدى والعصا.

بقي لك من الكل الواحد الأحد الذي خلقك فأحسن لك الخلقة ودبرك فأحسن لك التدبير والذي جازاك بإساءتك الإحسان وبالبخل منك الامتنان وصبر على غفلتك وتجرئك عليه سنين طوال.

فكم قضيت من العمر تأكل وتشرب من ملكه وأنت لا تعره طرفا ثم بعد كل هذا لما رجعت إليه تلقاك وكأن لم يكن من عصيانك شيئ مذكور مؤنسك حيث أوحشتك العوالم الذي عطف عليك قلوب الأمهات والآباء وبعض من قضى لك حاجة فهو من لا يقضي لنفسه حاجته ولكن بهداية الحق عطف قلبه عليك الله الذي يقول لموسى:-

يا موسى لم لم ترحم وتغث فرعون وهو يستغيثك؟

يا موسى لم تغث فرعون لأنك لم تخلقه.

ولو استغاث بي لأغثته.

يا موسى لماذا لم تغث قارون؟ وقد استغاثوا بك سبعين مرة -فرعون وجماعته- فلم ترحمهم ولم تغثهم أما وعزتي وجلالي لو إياي دعوني مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا.

فقد عاتبه على أخذهم بالعذاب وهم يستغيثونه مع تكبرهم وطغيانهم أقول أمثل هذا يترك؟ أما والله لا يتركه ذو لب قط.

لكن إذا فارق العقل صاحبه عبد العجل وقدس أتفه الأسباب ألا يا صاحبي أن البعض ممن يصحب السلطان الضعيف وصاحب المال النحيف كيف يفتخر ويطمئن قلبه جهلا بواقعه فما حسبك بمن يتوكل على الحق تعالى القوي الذي لا يدانيه شيء في هذا العالم وأنت خبير بصرعته للملوك والطغاة وكيف يقلب هذه الكائنات بأضعف جنده وهي الريح والماء اللذان لم يعطيا شيئا من الصلابة فما ظنك لو أنزل أقوى جنده.

فمن توكل في جميع أموره سعد الدارين ونال الحظين واطمأنت نفسه من هواجس الخوف رزقنا الله وإياكم صدق التوكل.

واعلم يا عزيزي أن في خذلان الأسباب والأصحاب لعبرة فأنها دعوة الحق تعالى منه إليك ولكن لا تعلم ذلك إلا بفطنة العقل وإذا سقمت ولم تشف فذلك برهان من ربك ليريك من هو وكيف أمره

فلا تحزن من غدر الأحبة والأوداء فإن الكل داء إلا الواحد الأحد صاحب العطف والحنان الصادق فأنت تتخير في خلقه تحب وتبغض وهو يحب الجميع كصاحب المحال والدكان فأنت تختار بضاعة وترفض أخرى وأما صاحب المحل فيرغب ويحب جميع بضاعته فالله تعالى هو المحب الحقيقي الذي كان معك في الحياة وباقي كذلك بعد الممات أيستبدل هذا بأبخس الأشياء فعلا ما قدر الله حق قدره.

فالتوكل:-

كفاية العبد وخير عماد وأفضل زاد وقوة للقلب وزيادة في اليقين ويرفع العناء ويزيل الشقاء مفرج الهم وكاشف الغم ومهون السقم ومعز الذليل ومكثر القليل ومهون الصعاب ومسهل الأسباب به علت الأنبياء والرسل وبتركه أرغمت الأنوف ولاقت الأنفس الحتوف فإذا أردت الراحة والارتياح فأطلق لسانك إذا تنفست الصباح بأعظم مفتاح متوسلا بالنبي المختار على أحسن اختيار طالبا بحقه توكلا من الجبار مستقرا غير معار وصلى الله عليه وآله وسلم.

عطر المجالس:-

قال أمير المؤمنين عليه السلام:- من وثق بالله أراه السرور ومن

توكل عليه كفاه الأمور.

عن الباقر عليه السلام:- من توكل على الله لا يغلب ومن اعتصم بالله لا يهزم.

عن نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:- من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.

التفاتة حسنة

قد يتكل الإنسان على ربه ويفوض إليه أمره ويرجو منه بقدر اتكاله على شخص من عامة الناس حتى أن البعض يقول يا رب(أنا لا أريد منك سوى هذا الأمر)(أو أعطني منه قدر كذا لا أكثر).

وهذا منبعث من جهل الإنسان في حقيقة العطاء الرباني وكرم الذات الإلهية فلو علم من يدعو لما صدر منه ذلك.

فأقول اعلم يا عزيزي أن الكريم يعطي لا لأجلك وإنما لكرمه وأنه تعود الكرم والبخيل يمنع لبخله لا لأجل القلة فيسعد الكريم بالإعطاء ويحزن البخيل به وسعادته في المنع فقط ويبتهج بذلك وإذا قصر الكريم عن الإعطاء ذاقت به السموات السبع والأرض برحبها.

فإذا كان الكرم في عبد من عباده فكيف بمن يزيده كثرة العطاء

كرما وجودا ولا ينقص من ملكه مثقال ذرة في السموات والأرض فأرجو منه ما شئت ولا تحمل ما في نفسك من البخل والضعف عليه وإخوتي من الموالين إذا قيل لهم : ماذا ترجون من زيارتكم هذه؟ في حال زيارتهم المشاهد المشرفة،

قالوا:- نريد العافية، الستر أطلب هذه الحاجة فقط.

لا يا أحبتي اطلبوا ما يحلو لكم وما هو مشروع ومقبول عقلا اطلبوا رفقة الأنبياء والأولياء اطلبوا الفوز بالدارين اطلبوا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ألم تقرؤوا أن رفقة الأنبياء منهم من الحطابين ومنهم غير ذلك فازوا برفقتهم بأعمال ونوايا بسيطة فأرجو من الله الكثير.

فإن الله يعطيك فوق ما تطلب وترجو وجاء عن الصادق عليه السلام:- كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو.

فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله نارا فكلمه الله عز وجل فرجع نبيا، وخرج ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين[1].

فكم من أمر كنت ترجوه حصلت على أفضل منه في حياتك

(١) بحار الأنوار ج٧١ باب التوكل.

فالحياة الدنيا والآخر بيده تعالى يقلبها حيث يشاء ويعطيها لمن يريد ويمنعها عمن يريد.

وعادتنا لا نرجو شيئا إلا إذا توفرت أسبابه بأيدنا لا أتزوج حتى أكون ثريا لا أسعى في أمر كذا حتى املك ماله جميعا تعالى الله علوا كبيرا عما نظن ونفعل.

صناعة اللذة والراحة

قد يتصور البعض من الناس أن الراحة أو اللذة في المعيشية يتحققان بالوفرة وتواجد الأشياء من حولك بعيدا عن التعب وبدون العمل والمشقة والمسؤولية بل هذا حلم كل شاب وهو جهل محض.

لذا يجب أن تعلم أن الدنيا تختلف لذائذها تماما عن الآخرة فإن الآخرة لذائذها هكذا إذا توفر الجميع وذهب التعب ودامت النعمة واللذة أما في هذا العالم ليس كذلك.

فإذا توفرت النعمة ذهبت لذتها والرغبة فيها والأنس بها وكل لذائذها مبينة على برنامج الفقدان ثم الوجدان فلا تجد لذة شرب الماء إلا إذا عطشت وعانيت من العطش شيئا ما و إلا فأنت تشرب على الدوام واللذة منحصرة في الساعة التي عطشت بها ثم شربت فخفيت

لذة الماء في عناء العطش.

وألذ طعام أكلته هو إذا جعت تماما ولذا أنت لا تذكر لذة طعام أكلته على الشبع أبدا ولا يقع في مخيلتك ذلك وألذ لقاء وأشوقه مع أصحابك هو ما كان بعد ألم الفراق وألذ نوم ما كان بعد التعب وعناء السفر أو عمل وإلا فالنوم على النوم يفقد اللذة ويورث الأرق.

فالذين تتوفر لديهم إمكانية شراء اللحم على الدوام فإنه لا لذة لديهم في اللحم أبدا بل جنوا على لذائذهم تماما بكثرة الشراء حتى الأثاث فهم عبيد التغيير الذي يعصف الأموال ويبيدها.

ولهذا لابد من عناء وتعب ومشقة ومسؤولية وفقدان ثم وجدان حتى يحافظ على اللذائذ والراحة الدنيوية وعكس ذلك سوف تفقدون كل شيء فهناك من الناس من يسعد ويفرح فرحا لا مثيل له - بالطماطة- وأما نحن لا نشعر بأهميتها لأنها متوفرة لدينا على الدوام.

فلابد من تعتمد طريقة التأخير في توفر الأشياء وبرنامج الفقدان ثم الوجدان فلا يعتاد يوميا على اللحم بل أترك ثم عاود وهكذا الفواكه والمشروبات وغيرها وحتى الاعمار لا تجهز بيتك آخر مطلب فإنك متوهم السعادة بذلك فبعد مدة من الزمن وقرب جدا لا ترى شيئا ملفتا للنظر بل بعينك كأنه بيت من طين خصوصا بعد أن ابتلينا

بمرض عدم القناعة وألم الحرص وهكذا الألبسة لك ولأولادك فإن أولادك لا يفرحون وأنت كذلك إذا صرت تشتري على الدوام بل امنع نفسك فترة فسوف تجد نفسك تهش إلى ما تجلب لها وهكذا أطفالك.

الأطفال الذين يعيشون العوز إذا اشتريت لهم حاجة من لباس أو لعبة يبيتونها في أحضانهم وأما أولاد الأغنياء لحظة ويرمونها فهؤلاء حصلوا اللذة في فقرهم والأغنياء فقدوها مع غناهم وإذا فقد في الغنى اللذة لا قيمة له ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:- لأروض نفسي رياضة تهش إلى القرص.....، وقوله عليه السلام أيضا ما أقرب الراحة من التعب، كل ذلك يشير إلى الحقيقة التي ذكرناها.

المعاكسة الذهنية للحياة

لابد لك من أن تعلم أن الحياة أوسع أفقا منك فأنت لا تستطيع مسيارتها ومماشاتها بعمرك القصير ولا يفوتك من أنها أهلكت الأقوياء وحطمت العظماء وقد وصفها لقمان الحكيم بأنها بحر واسع مع أن هذا لفظا مجازيا إذ أن البحر هو جزء منها ولهذا يقول عليه السلام لأبنه لما كانت هذه الدنيا كذلك فأنت لا تستطيع مجاراتها لذا قال له :-

(يا بني إن الدنيا بحر وقد غرق فيها جيل كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى وليكن جسرك إيمانا بالله وليكن شراعها التوكل لعلك يا بني تنجو وما ظنك ناجيا، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام لأبنه الحسن وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك فرزقك وسواك وليكن له تعبدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك.

وعليه لابد من أن تتماشى مع الظروف الحياتية قلبا وقالبا فربما نحن نتماشى ونسايرها قالبا بان نطور حياتنا الاقتصادية ونصبح في ترف بدني ولكن لا نتماشى معها ذهنيا وفكريا ونفسيا إذ نكلف أنفسنا طلب المستحيل لتغير مناهجها فهي بسعتها حوتنا وأمثالنا ولم تعر للجميع طرفا.

والمشكلة تكمن في أننا مع سعة الحياة وعظيم متطلباتها أصبحت أذهاننا تتجه اتجاها معاكسا إلى الضيق على العكس فبدل أن تتسع أذهننا وعقولنا قصرت أذرعتها وصرنا نفكر تفكير عكسي فالدنيا تتوسع وعقولنا تضيق وهذا يحدث زلزالا قويا تكون عاقبته وخيمة على الجميع قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيب الذين كفروا منكم خاصة...) .

ولذا صرنا نعيش قوله عليه السلام لأبنه الحسن : فإنما أهلها (الدنيا) كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضنا بعضا ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معلقة وأخرى مهملة قد أضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مقيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام.....

فيقول عليه السلام نعم معلقة أي أن الناس البعض منهم لم يفعلوا الشر لأنهم قيدوا بالضعف والفقر والبعض الآخر مثلهم بالنعم المهملة والبهائم التي أضلت عقولها فيفعلوا ما يشاءون من السوء وهم من الذين أطلق لهم العنان فليس لهم قيم يردهم عن الضلال كالبهائم التي ليس لها راع.

يجد المتأمل في كلامه عليه السلام شمولية هذه الأصناف للغالبية من الناس فالبعض منهم كلاب عاوية والآخر ذئاب ضارية والثالث نعم معلقة والرابع مهملة ليس لها راع ومع كل ذلك سوف يكون المطاف أن يسفر الظلام ويتبين الحق من الباطل بأن يردوا الآخرة شاءوا أم أبوا إذ أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن

كان واقفا جعلنا الله وإياكم من الذين قال فيهم الله تعالى (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المكر)إنه ولي التوفيق.

مسك الختام

وهنا أحط رحلي في أصل السعادة كي لا أخدع قارئ هذه الأوراق وأقول عزيزي كم يعاني الطفل إذا ذهبت عنه أمه وأعطي للخالات والعمات وبنات الجيران فإنه يسكن لحظات ثم يفزع ليطلب أمه الحنونة التي نشأ بأحشائها.

وهكذا أنفسنا فإننا مهما درنا بها الكون كله وملكناها دار الدنيا بأجمعها فلا تستقر حتى ترجعها إلى ربها كي تقر عينها وترضى وهذا قول إمامك خير عماد: (فلا تطمئن القلوب إلا بذكراك ولا تسكن النفوس إلا عند رؤياك).

(إلهي ما ألذ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب وما أطيب طعم حبك وما أعذب شرب قربك).

(إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا).

هذه هي الحقيقة للسعادة بأن تقول للنفس لفظا وعملا ارجعي إلى ربك راضية مرضية-إلى وكرك الحقيقي فأنت ابتدأت من عالم

غيب وإليه تعودين ولجنسك تأوين وأما المادة فشيمتها الأفول والفناء بعد مؤونة وعناء وما لا يتسم بالبقاء فلا قيمة له فقل قول نبينا إبراهيم عليه السلام أنا لا أحب الآفلين.

لذا يقال أن اللذائذ المادية تذهب والمعنوية باقية فإذا أتممت بناء بيتك تفرح ليوم ثم بعدها تتجاهله مهما كان ولو من الذهب ويبقى لك منه حسد الناس إليك وضياع العمر عليك.

واعتبر بقول إمامك الحسين عليه السلام:-(ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك) فإن الفاقد للحب الإلهي والشوق إليه لا يعوض بشيء والواجد له لم يسلب منه شيء.

أحبتي ليس من العجب موت أهل البيت عليهم السلام بل قسما بالله العلي الأعلى أقول غير مبالغ العجب كل العجب كيف عاشوا كل هذه المدة مفارقين الله تعالى وللدار الآخرة كيف أقبلوا على نساء الدنيا وهم يرون نساء الآخرة كيف أكلوا منها وعندهم شوق الإله وهذه الحقيقة التي لا يعرفها إلا هم وأما حظنا نحن المساكين فالألفاظ فقط ومن الله الاستعانة والتوفيق.

ولهذا انتفض وأزل الغبار عن هذه النفس وأعبد الحق وأطلب منه ما طلب الأبطال الإذن لك بالذكر والعبادة ومهاجرة المعصية

ومملكة الذل والسكر قبل موضع الإفاقة الكبرى يوم تبلى السرائر أمام الأولين والآخرين يوم يرى المرء ذنوبه فيبكي دما وقيحا يوم الناس حفاة عراة جردا مردا لا رداء عليهم ويوم تسكر الأبصار وتغوص الأنظار وبرزوا لله الواحد القهار يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وأطلب منه سعادة الدارين لجميع هذه الأمة المباركة وأخص بها محبي الحق ومتبعيه إنه حميد مجيد.

الفهرست

المقدمة ٣
السعادة عند الحكماء ٥
السعادة عند أرسطو طاليس:- ٥
السعادة على رأي بقراط وفيثاغورس وأفلاطون: ٧
الرواقيون: ٨
الحق في المقام ٩
فالسعادة القصوى إذا ١٩
السعادة التامة ٢١
مستخلص:- ٢٣
سعادة لقمان الحكيم(عليه السلام) ٢٤
لقمان عليه السلام يرفض الحكومة بين الناس:- ٢٤
معدة العقل ٢٧
سعادة قوم ذي القرنين ٢٨
تتضمن هذه القصة معان عظيمة ودروس قويمة:- ٣٠
سعادة أيوب عليه السلام ٣٢
الحزن المفتعل ٣٤
سعادة سليمان عليه السلام ٣٥

العقل أساس السعادة ٣٧
سعادة بزرجمهر ٣٩
أخطر ما يهدد السعادة ٤٠
من أفضل ما يتوسل به للسعادة ٤٢
الفكر الصحيح هو الذي يصنع السعادة ٤٣
موافقة الضمير والفطرة ٤٦
إذا أردت لذة الدنيا فأعمل للآخرة ٤٨
مفهوم السعادة ٤٩
مبدأ السعادة:- ٥٠
ونقرب ذلك بمثال:- ٥٠
عوامل بناء السعادة:- ٥١
الإنسان مركب:- ٥١
المسكن:- ٥٣
المرحلة الأولى:- اختيار الوطن والمدينة المراد السكنى فيها ٥٣
اسكن المدن العظيمة:- ٥٤
احذر بعض المنازل:- ٥٥
ففي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:- ٥٥
إياك ومساكن الظلمة:- ٥٦
ويستثني الله تعالى:- ٥٧

بل جعل الله الخير الكثير في المهاجرة:- ٥٧
أفضل السكن:- ٥٨
صفة المسكن والبيت الذي يسكنه:- ٥٩
ضيق المنزل من الشقاء:- ٦٠
أنها من الحماقة:- ٦١
السعادة في أربع:- ٦٢
الولد الصالح:- ٦٣
العامل الثاني للحصول على السعادة..... ٦٣
الأول: التخلص من الحسد:- ٦٤
وباعتبار صدوره وتحققه ينقسم إلى قسمين:-..... ٦٤
آفاته:- ٦٥
تأمل في قول أمير المؤمنين عليه السلام:-.....٦٥
طالب الصحة:-.....٦٦
الحسود أقل لذة:-.....٦٦
فإن أردت العيش الرغيد:- ٦٧
العزلة:-.....٦٨
اليقين:-.....٧٠
من اليقين:- ٧١
بالعلم يسعد الإنسان:- ٧٣

القناعة ٧٣
موعظة في قصة:- ٧٥
لا تجالس أهل التشاؤم:- ٧٧
فأقول لمثل هؤلاء:- ٧٧
الاهتمام بالنفس:- ٧٨
من خطط إبليس:- ٨٠
الانشطار النفسي ٨٠
التوكل على الله تعالى ٨٣
فالتوكل:- ٨٦
عطر المجالس:- ٨٦
التفاتة حسنة ٨٧
صناعة اللذة والراحة ٨٩
المعاكسة الذهنية للحياة ٩١
مسك الختام ٩٥
الفهرست ٩٩